المقطوع ..

و

الموصول ..

روایة

عبد الفتاح مرسي

إهداء ...

إلى ذلك الصديق الذي حول (أنانية) الصداقة
إلى (إيثار) الأبوة .. وأخذ يدفعني أمامه في رفق
وصدق ، دون أن يضغط على رقبتي بطوق (الجَميل) ..

هيئة الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بالإسكندرية
[كتاب فاروس للآداب والفنون]
الكتاب الثالث
١٩٩٨

رقم الإيداع : ٩٨/٥٠٢٨
الترقيم الدولي :
I.S.B.N 977-5667-13-6

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف

COMPUTER PRINTED :
HIGH TOUCH COMPUTER CENTER
AHMED M. ABD ALLAH

.. ثابت أفندي عبد الغفار . إذا ما نحيته بعيداً عن كونه أباً لـــي
ولسعيد الملازم أول بالقوات المسلحة.والذي يصغرني مباشرة ..
ولإسماعيل.الذي يعمل موظفاً بإحدى شركات صناعـــة الـــورق
بدبلوم التجارة الثانوي . وهو شقيقنا الأكبر ...
وكزوج شرقي.متشدد .لامرأة لم تنل إلا قسطاً ضئيلاً من التعليـــم
وأخلصت لعالمها الصغير الذي اعتبرته كل حياتها.وأخذت فـــي
قمة الاعتبار أن هذا العالم له (ملك) وحيد.هو (أبي) ثابت أفندي
وأنها (شعبه) المخلص،في مملكة شرقية غارقة في أسر التقاليد
.. إنها أمنا رئيفة – أو كما يطلق عليها [الملك]،أم الرجـــال –
وهو أمامنا.لا يقر بأننا رجال بالفعل – وأمنا رئيفة قريبتـــه مـــن
بعيد ..تقوم بدور الظل الظليل له عن طيب خـــاطر .. أقـــول إذا
نحينا هذه الأدوار [لأبي] .. فماذا يتبقى للسيد ثابت أفندي ؟. في
الواقع كان ما يتبقى له – (كثيراً عليه) .. ذلك بسبب الظروف
العامة التي أحاطت به،وكذلك الخاصة .. مما لم يكـــن يتصـــوره
عن نفسه،أو يتصوره أحد من القريبين منه .
وثابت أفندي.وإن كان قد عمل موظفاً لثمانية عشر عامـــاً ، كـــان
فيها. مقره الدائم.في ذلك [البدروم] في الطابق المدفون أســـفل
المبنى .. تحت مستوى أرض ميدان المنشيـــة . مـــع الأضـــابير
وملفات القضايا.ورائحة الأحبار الزفرة.وعطن الـــورق،وأبخـــرة
الرطوبة التي تنشع من الجدران مع ذرات الغبار التي تثيرها أقدام
المارة على الرصيف أمام صفوف النوافذ الحديديـــة الصدئـــة
المغبرة التي لا ترتقي إلى سيقان المارة .. لا يرى من بداخلها
من ميدان المنشية وزحامه سوى جذوع الأشجار وحجارة

الأرصفة وعجلات السيارات وأجزاء من سيقان المارة
.. أبي لم يكن يحلم يوماً بأن يصل إلى ما وصل إليه ، فهو من الفئة الدنيا المدفونة تحت مستوى الرعاية والنظر، يتساند على عائلة فقيرة، فلا يركن عليها ظهره، حتى لا يسقط معهم على الأرض ، قد ينحصر جل اهتمامه وآماله في العثور على مكان يلتقط فيه أنفاس الحياة، ويستظل به من قسوة الزمن .. وربما لا يتطلع إلى أكثر من ذلك . [وفى اعتقادي وأنا ابنه البار به !] أن أبي ثابت عبد الغفار، وجد في تنظيم الاتحاد الاشتراكي في تلك الفترة الربيعية من ثورة يوليو .. مكاناً يستظل به بالفعل .. كان بالنسبة له وبقدر وعيه المحدود . أفضل من قعدة القهوة المكلفة .
وهو المواطن العادي محدود الوعي، الذي يدور حول ذاته، أو في مجال أسرته الضيق . إذ لم يكن يهتم يوماً بهذا (التنظيم) أو يحاول معرفة ما يمثله، وهو الذي استقبل الثورة ذاتها، وكانت تملأ الأسماع والأبصار، كشيء من فعل الأقدار – إذ أن أفقه، كان يضيق بالأمور المعقدة، التي تحوم خارج مجال أسرته، وعمله المرهق بين أوراق القضايا والأضابير . وهو كرجل فقير، دخله ينخفض كثيراً عن احتياجاته، كان يضع همه في الأضابير وأوراق القضايا وتصنيفها، لعله إذا عاون أحد المحامين في البحث عن رقم أو عنوان أو اسم أو شارع واستخرج له حكماً قديماً، سيجد عنده عائداً فورياً لهذا الجهد، مما جعله ينصرف للدوران في دائرته المحدودة ..
فجأة ، الرجل وجد نفسه عضواً في وحدة من وحدات هذا التنظيم الضخم، الذي استوعب جسمه الهلامي، كل أرض الوطن، وقد غطى تحته، كافة الأحزاب والتجمعات والتنظيمات التي سبقته .. ثم راح

ثابت أفندي يرتقى في الانتخابات التي تهبط مـــن فـــوق.لتصبـــغ التنظيم بالألوان المطلوبة .. كانت الانتخابات تجرى فيـــه علـــى عجل،لسد الثقوب في الثوب الهائل (تلك الثقـــوب التـــي كـــانت تتخلف عن الدوران حول الصراعات المبـــاشرة .) ويشـــاء أن يصير ثابت أفندي بوعيه المحدود،عضواً في لجنة قســـم رمـــل الإسكندرية . ويكلف،مقرراً للجنة المصالحات والمنازعات .. !

وثابت أفندي لا يجيد الكلام،ويدمن الإنصات،فقد كان منذ باكورة شبابه منطوياً ، كافياً خيره شره . ويسير بجانب الجدران في حاله .. وإذا بحالة الإنصات والصمت التي كان يراها عيباً في نفسه – تصبح إحدى المزايا المطلوبة.والتي تقربه من قلوب (محـــترفي السياسة) تدفعه أمامها درجات.إذ ينجح في الإنصـــات الطويـــل للشكاوى ويستمع للأطراف المتنازعة فـــي صـــبر . وإذا بـــهذا الصمت . يحمل أسماء تليق بأعضاء لجان الأقسام في التنظيـــم .

إذ يطلقون عليه . الرزانة والهدوء .. والوقار والتعقل .. وكانت المنازعات،نتيجة لمواجهتها بالرزانة والهدوء والتعقل،تحل مـــن تلقاء نفسها – فقيل عنه – أن ثابت أفندي،يحيل النيران إلى رماد بالصبر العميق المتوارث من الجدود .. منذ ولدت الحضارة على ضفاف النيل .. !

ومن هنا،صار ثابت أفندي سياسياً.بل وصارت معظم الـــرؤوس المتناطحة في لعبة السياسة بالرمل المزدحـــم بالفئـــات المختلفـــة .محط أنظار (المنظمين) صناع الانتخابات بمدينة الإسكندرية . لذلك تم ضم هذا (الرجل الرزين).والذي يجيـــد فـــن الســـكوت. ليكون القاسم في كشوفهم السرية،ولوائح التنظيـــم الانتخابيـــة .. ليس لعبقرية في شخصه،أو كريزما خاصـــة.تشع من عينيـــه

الملونتين .. بل لأنهم اكتشفوا،بأن للرجل شخصية خالية من الطموح و(المناكفة).ينأى بنفسه بعيداً عن الصراعات،فلا يزج بها في دائرة الأضواء،في قناعة سلبية،لا ترى من حولها إلا كل جميل.. !

بل يستكثر على نفسه ما وصل إليه ، لذلك كان السياسيون يلتقطونه ويربطونه بذيول خيولهم فيعدو خلفهم . وصار من المعلوم أن ذكر اسم (ثابت عبد الغفار) يعني،الرجل الذي ليس له أعداء.لا من اليمين ولا من اليسار . ويحصل على أصوات تجعله في المقدمة . ولكنه يتنحى ليفسح المجال لأحد النجوم البراقة،ويكفيه أنه يستمتع بسناه.في إغفاءة القانع،الذي يرى أن كل ما حوله،لا يعدو أن يكون وجع دماغ لذيذاً يتسلى به !

ومما لا مراء فيه،أن والدي،كان يتصرف بتلقائية،ولم يخدع أحداً – فهو محدود الطموح.ومحدود الذكاء،ويميل إلى السكون،بجانب تطلعات متواضعة .. وإذا بهذه المرحلة الهامة،في انعطافة الثورة لتبني نظرية جديدة – وفي الظروف التي كان الشعب العامل بتحالفه.يلقي بكل حموله وهمومه على مجلس قيادة الثورة .. ثم على صاحب القرار في هذا المجلس – لم يكن مطلوباً من الذين يشغلون الأماكن القيادية في التنظيم .. إدارة صراعات وتصادم تكتلات .. فإن وحدة الصف مهما تعددت الأهداف،تطلبت شيئاً من الرزانة،والحكمة،من قيادات التنظيم .. فكان ثابت أفندي بإمكانياته العادية – أفضل ممثل – لهذا النموذج الفذ ..كانت الثورة قد أصدرت ميثاقها البراق . وجذبت فئة كبيرة من هؤلاء الطيبين في تنظيمها الذي انفرد بالساحة،وكان أبي لا يفهم من الكلمات الفخمة،والمعاني البراقة للميثاق،إلا أن (عبد الناصر) قد

ألقاه بصوته فلا بد إنه شئ (كويس) فالشيء الإيجـابي الـذي كان لوالدي – ثقته العمياء في قائد المسيرة .

* * * *

.. هنا بدأت أكتب وأسجل خواطري – وما أصادفه من أحـداث مثيرة للجدل-بناء على نصيحة من الكاتب الكبير [حسن ذهني] .. كجزء من تدريبي في [الجورنال] بعد أن عملت صحفياً بدار التحرير للطبع والنشر .. وألحقت بجريدة الجمهوريـة صحفيـاً مبتدءاً .. وبصرف النظر عن أنني أتناول [ثابت أفندي] بالتحليل .. وأنا في الواقع – أجد متعة في ذلك التدريب – كالعالم الـذي يجرب مخترعاته على نفسه – ومع ذلك،فأنا أرى،أن ثابت أفندي رجل طيب – متخطياً الشعور الطبيعي، الذي يشعره ابن نحو أبيه – وأنا هنا أتناول الرجل كحالة،أعيش في كنفها،وأحـاول بقـدر استطاعتي – الاقتراب من هذا (النموذج).في حركتـه العامـة والخاصة . إذ أن (المرحلة)،فرضت أعداداً لا حصر لها مـن أمثال (ثابت أفندي) .. أناس عاديون وجدوا أنفسـهم (خبـط لزق) في خضم الصراعات السياسية،وتـهبط فـوق رؤوسـهم القرارات الفوقية،ومهمتهم تحليل الخطابات التي يسـمعونها مـن القيادات الأعلى،وتقديم التفسيرات والتبريرات لأشياء غامضة . هم ذاتهم،في أشد الحاجة لمن يقدم لهم التفسيرات والتـبريرات . وعليهم . لإثبات ذواتهم . أن يصبحوا،ويمسوا،بالكلام في السياسة واستخدام هذه الاصطلاحات المعقدة ..

بينما كان ثابت أفندي ينحصر جل اهتمامه،في الأمـور الحياتيـة كواحد من الموظفين الصغار الذين يحملون الابتدائية القديمة .. لكن بمرور الوقت،وعدم الإطلاع،أو الاهتمام بالقضايا العامـة .

عادَ أمياً،أو قريباً من الأميّة . فهو لا يتقن إلا عمله الوظيفي.وأن يكون دائماً الرجل الطيب الودود،دمث الأخلاق،وأن تكون له تلك الابتسامة الثابتة.يحتفظ بها مشعة على وجهه المستدير القمحـــي ، تضيء جبهته،مع علامة الصلاة،التي تدل على إيمانــــه العميــق. وذلك كله في حالة لقاء الغرباء والجيران ..

ثم يزول كل هذا (المكياج) عندما ينكفئ عائداً إلينا،نحن عائلتـــه الصغيرة – معنا،يتحول في البيت،إلى (السيد) الشرقي . الـــذي لا يقبل ، إلا الطاعة العمياء ..مهما كانت آراؤه متضاربة .. !

وثابت أفندي – كحالة يهتم بها (صحفي) يأمل أن يكون صاحب شأن في السلطة الرابعة ، أعمد أن لا أتناوله كوالـــد يعمـــل فـــي السياسة،يهمني أنا على الأقل في البيت . كأي أب يتمنـــى لأولاده كل الخير) . بل يشغلني بما يفعله فـــي لجنـــة القســـم.أو بيـــن المتخاصمين من أهالي رمل الإسكندرية . يحاول أن يكون أمامنا المثال والقدوة . لكن وما يعنيني حقاً منه ، أنـــه وأمثالـــه صـــار وجودهم في مرحلة معينة،ينأى بالسياسيين الحقيقيين،من اليميـــن إلى اليسار،ويتقدم صفوف المناضلين بحق . لـــذا كـــان هـــؤلاء (الثوابت) الذين لا موقف لهم تجاه أي قضية،ولا رؤية لهم تشغلهم تجاه أي فلسفة،ولا ولاء لهم تجاه أي نظام،رجعي أو ثـــوري.أو حتى،ثيوقراطي .. بل كانوا مجرد أرقام تسد خانات،ويصعد فوق أكتافهم بعض السياسيين،الذين لا رسالة لهم،إلا (ذواتـــهم) فـــي لعبة تحالف قوى الشعب العامل،وقد اختيروا بعناية من المنطقـــة الوسطى الفاترة .. وفى هذا المجال الفاتر،الذي لا هو ســـاخن أو بارد .. يبرز دور – والدي ثابت أفندي – إذ أنه بطيبة قلبه يتقن

فن تقديم المجاملات والخدمات الشخصية.وحفظ عشرات العناوين وعشرات من أرقام التليفونات.ويقوم من تلقاء نفسه ولملئ الفراغ في حياته ، بتقديم التهـاني بأعيـاد الميلاد والـزواج والسـؤال عـن صحة المرضى والمباركة لمن نجحوا في المـدارس فـي جميع الصفوف .. أشياء لا يتقـن العمـل بـها [السياسـيون] الحقيقيون، المهتمون بقضايا الوطن.والأخطار التي تحيق به مـن الداخل والخارج .

وقد أعتبر (والدي) أن العمل في لجنة القسم بالاتحاد الاشتراكي لا يختلف كثيراً عن العمل بين المستخدمين بالمحكمة،كتشـهيلاتي يستمع إلى شكاوى البعض.ثم يصحبهم إلى من يتوسـم فيـهم أن بيدهم الحل والربط .. يقف بعيداً متهيباً ويشـير لـهم باقتحـام مكاتبهم .. أو يطيب خاطر الشاكي.(بكلمتين حلوين) يثقب بهما قربة الغضب.حتى تخر ما بها ... وكما يقول [الكلمـة الحلـوة حسنة] وبهذه التوصيلة وهذا التواجد .. كان يملأ فراغ حياته ..

ولم يكن يتوقع من وراء ذلك.أن يكون اسمه معروفاً.أو أن يكون شخصية عامة.وحتى وهو يجمع التبرعات من تجار سوق باكوس ويتحدث معهم عن المنزل الذي انهار فجـأة.والضحايـا الذيـن أضيروا.وأهمية المبادرات الشعبية ..!

لم يكن في ظنه أنه بذلك العمل (الخيري) يعمل في السياسة.كما يدعو إلى ذلك السياسيون الكبار.في الراديو والتلفزيون بضرورة التقدم وحل مشاكل الجماهير ذاتياً – فقد كـان بوعيـه المحـدود يعرف.أن السياسي لابد وأن يكون صورة مصغـرة مـن سـعد زغلول – أو مصطفى النحاس . ومصطفى كامل ومحمد فريـد يخطبون ويكتبون في الصحف،ويتناقشون مع ملوك ورؤساء دول

الغرب التي تستعمرنا .. لذلــك لــم يكــن ينســب مــا يفعلــه إلى(السياسة)،ولم يكن يدرى أن الاتحاد الاشتراكي يدعــوه إلــى تقديم هذه الخدمــات.وانهم كانــوا يرون في تقديــم هذه الخدمات للناس – وهو العمل الذي يفعلــه أبى بتلقائية – من أهم الأنشطة السياسية للاتحاد الاشتراكي.وفيها تعبئه جهود الشبــاب ، لكنــس الشوارع بواسطة أعضاء منظمة الشباب،بينمــا كناســو البلديــة قاعدون في المقاهي يشربون الشاي ويشــدون أنفــاس المعســل وبعض السياسيين الكبار اعتبروا ذلك مــن الأعمــال السياســية الكبرى – لذلك أعتبر (بمقياس السياسة في هذه المرحلة) – أن ثابت أفندي من كبار الساسة في حي الرمل – فقد كان (مدرسة) في العطاء دون تحريض .. وكأنه ولد (سياسياً) وفطــم علــى (السياسة) .. !

* * *

كان الوقت وقته . ولم يكن [والدي الذي أعرفه] يســعى إلــى كسب المال في مقابل ما يقدمه للناس من خدمات اجتماعيــة .. لكنه لم يكن أيضاً يرفض الهدايا مهما كانت يسيرة ، فهو لا يتكبر على قبول كوب شاي في المقهى،أو كرسي معســل أثنــاء حــل المشكلة،وربما أخرج علبة سجائره مرة.ووزع بضع لفافات.وبعد ذلك،يدخن عشرة سجائر من كل الأنواع . فــالحديث ذو شجــون يجعل التدخين لذيذاً . ومنذ تحددت بعض المزايا لهؤلاء السياسيين كبدل ضيافة للقاعدة الشعبية التي تزورهم في مكاتبهم بلجنة القسم وضرورة أن يقدموا (لقوى التحالف) أصحاب المصلحة الحقيقية . الشاي والقــهوة . والكــازوزة . علــى حســاب التنظيــم .. كان ثابت أفندي يواظب على الذهاب إلى مكتبه،في الفيلا القديمة

على ناصية محطة ترام جناكليس ، يجلس خلف مكتبه الذي عادةً ما يزدحم بالمتخاصمين ، منافساً لقسم البوليس .. ويواصل مع القاعدة الشعبية شرب الشاي والقهوة والكازوزة وتدخين السجائر والإنصات الشديد، حتى تفرغ الصدور ما بداخلها. وتهدأ. الخواطر .. ذلك فإن التنظيم السياسي الذي انفرد بالساحة كان، ولابد وأن يقوم بالالتحام بالجماهير من خلال حل مشاكلهم .. ثم يقوم بتوعيتهم بأهداف الثورة ومعاركها الوطنية. وقد يحقق ثابت أفندي الشق الأول .. أما الشق الثاني فقد يتأجل لحين تسليم الراية للجيل الجديد .. ومن الإنصاف أن نقول – أن والدي لم يسع مطلقاً للحصول على [المسكن الجديد]. الذي كان شقة، أربع حجرات، وصالتين، وحمامين، وشرفة ترى البحر. المالح. الذي يقع خلف فندق سان استفانو، وشرفة أخرى تطل على الشارع الذي يربط بين شارع أبوقير وشريط ترام جليم .. وتلك الشقة. كانت لأحد الخواجات الفرنسيين، الذين تركوها وغادروا البلاد عقب العدوان الثلاثي . عندما قامت الدولة بتمصير بعض البنوك وشركات التأمين غير الوطنية ، وانتقلنا (شيلا بيلا) من شارع صريع الغواني بأرض الموز بباكوس. إلى هذه الشقة الواسعة في العمارة الفخمة. التي أدهشت والدي. ببنائها القديم ، أوربي الطراز . رومانية الواجهة . وقد أخذ يتأمل المدخل الذي شيد من الرخام الأبيض الإيطالي. وكذلك السلالم. التي صنعت من هذا الرخام الأملس الناصع .. والدرابزين الذي لا يختلف عن قطعة الأثاث فهو من الخشب السويدي المضفور مع الحديد المطعم بالنحاس الأصفر . ومساند اليد مصقولة ولامعة. وكأنها أتت تواً من عند [الأسترجي] .. !

والفائدة الأخرى التي لم يكن والدي يتوقعها .. كانت فـــي تلـــك الترقية التي حصل عليها ثابت أفندي بوزارة العدل .. وقد تمت بصورة بدت طبيعية .. إذ رفع إلى درجة [كاتب ورئيس قسم] وحل محل الباشكاتب.الذي خرج إلى المعاش.في مســـابقة أعلـــن عنها.وتقدم لها عدد كبير من الموظفين المؤهلين .. وكان لشهرة وأمانة وخدمات والدي . التي قدمها ويقدمها في العمل . أثرهــــا للحصول على هذه الوظيفة.التي لم يكن يحلم بها – وقد جاء فـــي تقرير الرؤساء . عنه.أحقيته لهذه الوظيفة.لخبرته.وقوة شخصيته ومهارته في القيادة .. ومع أن ثابت أفندي.حصل علــــى راتـــب رئيس القسم – إلا أن مهامه في التنظيم.تطلبت تفرغــــه للعمـــل السياسي.بلجنة القسم.مع زيادة البدلات بنسبة ربع المرتب.وكـــان ذلك.لإيثاره العمل الوطني في صمت.وترك مكانه في القائمة التي كان يمكن أن ترفعه إلى عضوية مجلس الأمة – تلك القائمة التي كانت كجواز المرور. إذ يتم الانتخاب بالتزكية للائحة يتقدمها اسم أحد المشاهير .. ثم تأتي أسماء أخرى ليست معروفة لأحد.وإن كان لم يطمح (أبي) إلى الوصول إلى مجلس الأمة – فقد كـــان سعيداً ومفعماً بالأمل في الغد .

وتفاقمت سعادته عندما حصل على وساطة أحد رجال الثورة من الصف الثاني.وكان صديقاً شخصياً للمشـــير عـــامر .. فـــألحق شقيقي (سعيد) طالباً في الحربية . وكان مجموعه في الثانويــــة العامة.لا يلحقه بأي جامعة.ولا بالمعاهد العليا .. كان أبـــي مـــن فرط سعادته لقبول (سعيد) في الحربية ، يقول والـــدي [إنـــها مدرسة أولاد الباشوات والبكوات ، وإنها كانت مقصــــورة علـــى أبناء الذوات] والدفعة التي دخلتها من غيـــر أولاد الذوات قبيـــل

الحرب العالمية هم الذين فجروا ثورة ٢٣ يوليو !
وكنت أتعجب أن حديث [حضرته] صار يتضمن هذه المعلومات القيمة فيقول لي :
- هذا ما سمعته من [محمد أبو نار] النائب في مجلس الأمة والضابط السابق في الجيش ..
ولا أنكر أنني شخصياً.قد استفدت من دور والدي كسياسي . مهما كان رأيّي الشخصي فيه - الذي ولابد أن أخفيه عنه - إذ أنني دخلت كلية الآداب قسم صحافة.وفور تخرجي.أمكنه أن يحصل لي على (كارت).لأعمل بواسطته (صحفياً).بدار التحرير .. أصرف مرتبي من القاهرة.ومعظم إقامتي في الإسكندرية ..
وأنا تربية (بيتي). لا أطيق الابتعاد عن الرعاية التي تحيطني بها أمي .. ولم أعتد على خدمة نفسي- لذلك.لا أمكث في القاهرة - مهما كانت الظروف - سوى بضعة أيام من كل شهر .. فقد كان رئيس قسم الشئون الداخلية - بعد أن تعرف (شخصيا) على ثابت أفندي.وقدم له أبي بعض الخدمات العادية ، كحجز كابين لسيادته على شاطئ البحر.والعثور له على شقة في المحافظة من تلك الشقق التي تبني خصيصاً لتوزع في أعياد الثورة على العرسان الشبان .. فقد منحني الرجل.حرية الحركة . وجعلني أعمل في أنشطة عديدة داخلية.تبدأ من متابعة حوادث الطرق.إلى متابعة مباريات كرة القدم.مروراً على أية أنشطة اجتماعية وثقافية .. وترك لي حرية اختيار الميدان الذي يحلو لي.ولم يبخل علي باعتماد ما أنفقه.أو أدعي بأنني أنفقته.من مصاريف .. وكنت أستقي معظم الأخبار والموضوعات.التي أقدمها لسيادته - ونحن نأكل على السفرة ، ساعة الغداء

أو العشاء . ومن أحاديث ثابت أفندي. أو أحاديث أخي سعيد الذي تخرج ووضع على كتفه نجمتين في أقل من عام ونصف.وكذلك من أحاديث أخي إسماعيل عن الشركات التـي وضعـت تحـت الحراسة. أو التي قاموا بتأميمها .. وكان والدي يتفاخر بـالحديث أمام (أم الرجال). التي لم تكن تفعل شيئاً إلا الاندهاش.بعد كـل عبارة يقولها. والدي.وتردد [يا سلام كده هوو] طويلة وممطوطة .. وفي ظني أن ثابت أفندي كان لا ينبس ببنت شفة. أمام أحد من المسؤلين. وهو - كما أعرفه - لا ينطق في أي اجتماع.وأن كـل ما يقوله لنا على السفرة.هي الأشياء التي دارت في ذهنه. أو التي كان يتمنى لو أنه يمتلك الشجاعة واللباقة ليقولها .. أو ربما قيلت أمامه من آخرين.تمنى لو كان في مقامهم.ويستطيع أن يلبلب بهذا الكلام الذي يسحر الألباب - إذ أنه كان قد بدأ يـرى. أن الكـلام (ليس غير) - كان يأخذ بيد البعض. إلى منـاطق النفـوذ نحـو القمة.. وإن بعض الذين يجيـدون التفـوه بالكلمـات الضخمـة والعبارات الفخيمة.وصلوا إلى كراسي الوزارة !

.. وكنت أفند حديثه.وإذا ما عثرت على أخبار مهمة تستحق مني التنويه عنها. أقوم باستخدام التليفون والاتصال ببعض المسـئولين للتأكد من حقيقتها. ليكون لي السبق في إرسالها إلى (رئيسـي) الذي كان يضعها في (ترويسته). التي تحمل اسمه. في الصحيفة اليومية. وأعيش أنا في حلم ، اليوم. الذي يكون لي فيـه بـاب أو عمود - له ترويسة مبتكرة يطبع بداخلها اسمي كـل صبـاح . ويوضع أمام بصر القراء .. وأرص فيه مـا أكتبـه. أو يكتبـه المبتدئون الذين يعملون معي .. !

* * *

منذ أن تصادف وتقابلت مع الأستاذ حسن ذهني - أحـــد كتـــاب الجريدة الموقرين.واسمه في ترويسة رؤساء التحريـــر بجـــانب الدكتور طه حسين .. فقد استوقفني عند باب قاعـــة الاجتماعات بعد أن انتهى الاجتماع الذي ترأسه.لغياب رئيس التحرير المنوط به العمل .. أمسك بذراعي عند الباب وانتحى بي جانباً .. نظر في وجهي وقال :

- كنت أتكلم وأنت كنت منكباً على تسجيل كل ما أتفوه به .. يبدو أنك كتبت كل حرف تلفظت به.حتى النحنحة والسعال .. قل لي بربك ماذا كنت تكتب ؟ أرجو أن لا تكذب .. إذا كنت قد كتبـــت قصة.أو فصلاً من رواية.ألح عليك في هذه الساعة.فلا تتكـــر .. أنا شخصياً أحب الشخبطة ورسم أشياء لا تخطر لي علـــى بـــال أثناء الاجتماعات الطويلة.التي أرغم على أن أسمع فيها تراهات .

كان هذا ثاني اجتماع عمل أحضره .. لم يكن أحد من الجالســـين حول الطاولة يكتب غيري .. وكنت أكتب بالفعل كل مـــا يقولـــه الأستاذ حسن ذهني .. فقد كان مشهوراً منذ كنت طالباً.وكنت أقرأ مقالاته بإعجاب.ولم يكن بمقدوري اقتناء كتبه.فقد كانت شخصيته نضالية تستولي على أفئدة الشبـــاب.وتعـــرض لفـــترات اعتقـــال ومطاردات في عهد الملكية . وكذلك في العـــهد الجمـــهوري .. ,كنت وأنا أجلس أمامه.أشعر أني لازلت طالباً في الجامعة , فـــي السنة الأولى ، في المحاضرة الأولى .. وكنت أعتقد أننـــي لـــن أتذكر شيئاً مما كان يقوله.لوشيش يصيبنـــي بـــأذني فـــي تلـــك الاجتماعات ، وأنني لن أتفوق في عملي كصحفي.إلا إذا حفظت صم.كل ما يقوله الأساتذة الرؤساء ، وجميعـــهم.كتـــاب وأدبـــاء ومفكـــرون مرموقون.لم أكن أحلـــم يوماً برؤيتهم.أو الحديث مع

أحدهم ، وإذا بحلمي يتحقق. وأصبح زميلا لهم. وأجلس معهم على طاولة واحدة. أستمع إليهم. ومن حقي مناقشتهم. وطـــرح الأسـئلة عليهم .. بل ويمكن أن أختلف معهم. وأحـــاول إقناعـــهم بوجهـــة نظري . كما يفعل بعض الشباب [عمال على بطـــال] .. أثنـــاء هذه الاجتماعات . حتى يتكرر ذكر أسمائهم. تحت شعار [خالف تعرف]. وإن سرقت إسرق جمل . وأن تناقشت ناقش الدكتور طه حسين والأستاذ حسن ذهني .. وكنت أرغب في سبر أغوارهـــم ونقل كل ما يدور فيها إلى أغواري..لأكتب وأفكر كما يفعلون ... صحبني الأستاذ [حسن ذهني] إلى مكتبه . ممســكا برســغي . جرني خلفه ولم يطلقني إلا بعد دخولنا مكتبه .. أجلسني علـــى المقعد الوثير أمام مكتبه وجاء وجلس قبالتي .. قدم لـــي علبـــة الشيكولاته وألح أن أحصل على أكثر من واحـــدة .. ثـــم بـــدأ يتعرف بي . ويطلب مني أن أتحدث عن هواياتي .. كنت أكـــذب إذ قلت أنني قرأت كل كلمة كتبها .. وأنني أحتفظ بكتبه الخمســـة المطبوعة . في مكتبتي .. وأنا بالكاد أتذكر عنوانين لكتابين منهما عندما ذكرتهما. صحح لي عنوان أحدهما .. ثم أخذ يتحدث معـــي بود .. وسريعاً ما تهاوت بيننا الحواجز . وللأستاذ حسن ذهنـــي ذلك السحر. الذي يطوى المسافات. ويمتلـــك ناصيتـــه بالبســـاطة الجذابة. التي وضعتني بعد وقت قليل من التعارف. في وهم أننـــي عشت معه نصف عمري .. إذ سريعاً ما أزال من نفسي الرهبـــة .. وفي النهاية سألني :

- هل التحقت بالصحافة عن حب ؟ وهل ترغب فـــي أن تكـــون الصحافة وسيلة أم غاية ؟

ربما بدوت مذهولاً وظهر على وجهي عدم الفهم ..

عاد يقول : وظيفة أم رسالة ؟
كنت أهز رأسي وأقول :
– نعم .. نعم .. نعم ..
فابتسم . إذ أدرك أنني لم أتمالك نفسي بعد .عصرت ذهني وقلت :
– إنني أميل إلى أن تكون رسالة ..
ابتسم في وجهي.وأخذ يربت على ركبتي.ويتحدث عن الجيل الذي ظلمته الظروف .. وطلب مني – إذا ما كنت حقاً أعني بأن الصحافة رسالة.وليست وظيفة – أن أقرأ أكثر مما أكتب .. وإذا بدأت الكتابة.أفكر أكثر مما أكتب وإذا بدأت التفكير يجب أن أرتاد حدائق الفكر.وأشم كل الأزهار.وأتذوق كل الثمار.ثم أشتل أفكاري.وأرعاها بالبحث والدراسة.حتى يكون لي زهرتي الخاصة. التي قد تتشابه مع زهور أخرى.ولكن لها سماتها.وجمالها المتفرد . وقال :
– هنا تحدث الإضافة .. لكن هذا كله لن ينمو.إلا بالقدرة على الحذف والاختصار.والقدرة على الوقوف طويلاً أمام أفكار الآخرين.على أن لا أنصهر تماماً في حرارتها ..
ثم حكي لي عن تجربته الخاصة في رعاية أفكاره – رفع يده في وجهي وقال :
– ليس معنى ذلك أن تتحول إلى حجر.تسد مجرى النهر – فإذا كان النهر موجوداً.والمياه تتدفق فيه . فإنه من الخطل صناعة نهر جديد مواز له .. بل يكون من الأفضل تعميقه وبناء جسوره وقناطره ..
ثم نصحني بأن لا أتعجل.فأكون أفضل ناقد لنفسي . قال :
– الكاتب هو الذي يدرك مواطن الضعف والقوة في أعماله كما

يدرك نواقصه وثغراته.التي يسدها بمواد لا تخصه – وأكد لـــي بأن أثقل شئ على النفس ، النصيحة . ويأتي بعدهـــا الوعــظ .. خاصة بين الزملاء ، فنحن لا ندري من الذي سيستمر ويتفـــوق على نفسه.ومن الذي سيتعثر ويكبو . وقال :

– ولكني لا أستطيع أن أنهي الجلســة الممتعــة هــذه – دون أن أحذرك.من استخدام التفكير الخرافي وتعضيده .. فـــهذا التفكــير أساس البلاء في شرقنا الذي ليس لنا غيره .. ثم أخذ يتحدث عن بنائه لصوبته التي حفظته عن كثير من الأنواء ..

[إذا شرعت في كتابة كل ما يصل إلى دائرة الوعي عندك.خلال فترة محددة .. وتعود إلى ما كتبته في يوم معين. استخدم قلماً له لون مختلف.وضع خطاً تحت المواضيع التي لا تزال تجد اهتماماً وصدى في نفسك .. وبعد فترة من الزمن.تعود وتلقي نظرة على كل ما خططت تحته وميزته .. وضع علامات أخرى علـــى مـــا تبقى متماسكاً .. ستجد أن ما يحدث لك.نوع من التقدم والتحديد .. فيما يسمى ، البلورة لأفكارك .. يمكن بعد ذلـــك عــزل هــذه المواضيع التي بقيت محل اهتمامك.للنظر إليها.في مجال الاهتمام العام . ومدى الاستفادة منها.في عملنا ككتاب – المفــترض أننـــا نستخدم عقولنا .. وليس كصحفيين يتلقطون الأخبار.التي تفقـــد تأثيرها.إذا ما كانت منفصلة عن قطيعها .. إذ أن الخبر لا يعيش إلا عمر الدهشة ..! وقال:

هنا .. يمكن أن نشير إلى مكان معين في الجريـــدة ونقـــول .. ماذا كتب اليوم.الكاتب الكبير رؤوف ثابت ..]

قال اسمي بنبرة صوت تختلف قليلاً عن نبرته العادية.التي كـــان يتحدث بها .. وهو يرفع يديه فوق رأسه .. لم يكن يسخر ..

ولكني ضحكت .. فوضع إصبعه أمام شفتيه وقال :
- هسس .. س .. س .. الأستاذ زوف يزعل .. !
لم يتركني أنصرف. إلا عندما دخل مكتبه في زوبعة حب مع الشاعر الصحفي الرسام صلاح جاهين . قفز وأحتضنه .. كان في أحضان (صلاح) كطفل .. وكان صلاح يترفق به .. وتركتهما لقبلاتهما وانصرفت .. أفكر في (حديث) الأستاذ حسن ذهني.وفى دفء صداقتنا الجديدة التي ملأتني زهواً ..

//*/*/*

(٢)

. . عيد ميلادي الثامن والعشرون في أول مايو ١٩٦٧ .. اقترح والدي. أن نحتفل به في النادي الأوليمبي بالصالة الكبرى ، ليمكنه من توجيه الدعوة.لعدد من معارفه وزملائه.ويتيح لـــهم فرصـــة تقديم الهدايا أو رد هداياه .. !

ورأيت من جهتي.أنه من الأفضل.أن أحتفـــل بـــه فـــي شقتنـــا الخواجاتي الواسعة.بالعمارة القديمة الفخمة.التي لا تزال تحتفـــظ برونقها ورخامها المصقول.الذي لا يني ثابت أفندي.يتحدث عنـــه وعن ثمنه الغالي .. وحتى أتيح لبعـــض الزمـــلاء فـــي مكتـــب الإسكندرية.والأصدقاء والمعارف.أن يروا بأعينهم.شقتنا الجديـــدة. لمزيد من تكثيف الاعتبار والحيثية .. خاصة وأنا وثابت أفنـــدي والسيدة الوالدة . نعيش في الشقة .. بعد أن تزوج أخي إسماعيل في قرار متعجل.وقصة غرام سريعة وحاسمة.من الآنسة فـــؤادة شعبان ، العاملة بشركة إيكا للحلويات .. وكان ذلك قد حدث ضد رغبة أبي.الذي كان يبحث له عن زواج (عليوي).فقـــاوم هـــذه الزيجة .. ولم يجد إسماعيل تعضيداً إلا مني ، ومن أمنا رئيفة ، في الخفاء .. وكان هذا التعضيد غير مقرون بالمساعدات المادية التي كان إسماعيل في أشد الحاجة إليها.بجانب التعضيد المعنوي الذي يرفع رأسه أمام أصهاره .. إذ كنت مع أمي.. نحاول عدم إثارة السيد الوالد.والتهاب طبعه المتشدد .. بينما كان أخي ســعيد في وحدته بأسيوط ،.فهو وأن كان قد تمكن مـــن دخـــول الكليـــة الحربية – إلا أنه لم يتمتع بكل مزايـــا الضبـــاط.أولاد الأغنيـــاء وأصحاب النفوذ .. فقد طوحوا به في منقباد بالصعيد .. !

وحضوره إلى الإسكندرية كان يرتبط بإجازات قصيرة كل شـــهر أو شهرين . أو في مناسبات معينة .
وفى معظم الأحيان.كان يمضى أياماً من إجازاته في القاهرة مـــع زملاء من دفعته.تضافر معهم.من أيام الكلية .. وفـــهمت مـــن كلامه عنهم.أنه على علاقة حب مع (نهى) شقيقة الملازم أول عادل المرصفاوي .. ابن صاحب شركات المرصفاوي لتجـــارة الجلود وصناعتها .
وذلك كان يتفق وطموح (سعيد).واستعداده في أن يبقى هناك في الطبقة الأعلى.وقد امتلك الوسامة.والنجوم.فأخذ يبحث عن الظهر الذي يرتكن عليه .. وكان ذلك يجد مساندة وبعض التســـهيلات من أبي .. !
لقد تحول أبي ، برغم ظروفه المادية كفرد مـــن أفـــراد الطبقـــة الوسطى الصغرى ، الشريحة الدنيا منها ، إلى [أرســـتقراطي] في أحلامه وتصرفاته ، وظهر ذلك جلياً بعد انتقالنا مـــن الحـــي الشعبي بأرض الموز .. إلى الشقة الخواجاتي .. وهى وإن كانت بالإيجار .. ومنحة من التنظيم . إذ أن والدي.لم يبذل جهداً فـــي الحصول عليها .. إلا أنها أبعديته.وعزبته.التي سيحرم منها من يخرج عن طاعته .. فقد أقسم على [إسماعيل] أن لا(يعتب) الشقة بقدمه.مادام قد خرج عن طاعته.وتـــزوج البنـــت العاملـــة الجاهلة ، فؤاده شعبان .. حاولنا إقناعه بأن فؤاده هي بنت جميلة وطيبة . وهي بنت لها أب أحسن تربيتها .. وهى من طينة أمنا .. لكنه كان سادراً في غيه.ويصعب عليه التراجع ..
لقد أجهض إسماعيل له.عملية التقرب بالنسب من أمين لجنة القسم الذي صار نائباً في مجلس الأمة.. كـــان تصـــرف أبي هـــذا

يذكرني بالباشا القديم المحافظ على السلســـــال الشركسي ويخشى اجتياح ابن البلد لعنصره النقي ..

حاول معه (إسماعيل) بما هو معروف عنه من أدب وخجل .. أن يقنعه بفؤاده.ويجعله يتعرف على عم شعبان .. دون جدوى .. كان إسماعيل في أشد الحاجة لوقوف والده بجانبــه . مظــهرياً . أمام أهل العروس.قال له :

- يا أبي أنا أحمل مؤهلاً متوسطاً.وأعمل موظفاً صغـــيراً فـــي شركة من الدرجة الثانية ، ومرتبي وحده لا يفتح بيتاً ، ولا يمسك بالستر ليبقى فيه .. وإنني في أشد الحاجة إلى من تقبل أوضاعى دون انتظار مساعدات من الأهل .. ثم .. أين هي هذه المساعدات التي يمكن أن تقدمها لي إذا طاوعتك وتزوجت بالطريقـــة التـــي تراها .. أنا أعلم بالبئر وغطائه .. إننا الآن نعيش فـــي عمــارة فخمة واقفين ، لا نستطيع الجلوس.وكأننا في انتظار أن يأمرو نا بالعودة إلى شارع صريع الغواني بأرض الموز . ولـــهذا الحـــي نفقاته ، وأي انفتاح على العائلات التي حولنا ، ســـوف تكشـــف مقدرتنا الحقيقية .. اجعل الطابق مستوراً يا أبي .. فؤاده تقبـــض راتبا . وسوف أسكن في منزل والدها.وستعاوننني فـــي تأســيس المنزل.وفي نفس الوقت.تبادلني الحب . وهي ترى فـــي القليـــل الذي أقدمه لها ، .. الشيء الكثير الذي تتمناه ... "

لكن . لا فائدة حصدت من محاولات إسماعيل - وأمـــي كـــانت تبكي في صمت .. وأبي كان لا يزال متصلبـــاً ، لا يليـــن ، ولا يتزحزح عن موقفه الرافض لهذه الزيجة ، وبشيء من التمعن في المشكلة.رأيت أنه لا يقدم لإسماعيل الحل البديل. الذي قد يقنعنـــا نحن - المؤيدين - حتى نتحرك من موقفنا إلى جانبه . وللحظـــة

شعرت أن والدي (يتخابث) ليفلت من الغرم المالي المتوقـــع أن يقدمه كمعاونه لابنه الكبير في زواجه .. وإسماعيل تحمل معـــه صدمات أيام الفقر الأولى .. عندما كان يساهم معه بشكل أساسي في مصروف البيت ، وقد عمل منذ تخرجه في الثامنـــة عشـــر وكان يضع مرتبه بالكامل بين يدي والدنا .. ويحصل منه علـــى مصروف جيب قليل . كان تواضع هذا المصروف يجعل أخـــي إسماعيل ينفق جل وقته.بعد عودته من عمله .. جالسا في الشرفة الضيقة – مثل بنت البنوت – يتطلع إلى الحارة الضيقة في بيتنـــا القديم بشارع صريع الغواني .. ولم يكن ليستطيع أن ينفتح علـــى المعارف والأصدقاء في (الحتة).أو خـــارج (الحتـــة).بـــهذه القروش القليلة التي يتركها له أبي.التي لم تكن تكفي عزومة فـــي مقهى شعبي ، لقعدة واحدة في يوم واحد ..

وساهم ذلك في تشكيل وتعميق [طبـــائع] أخـــي وانطوائيتـــه .. وتراجع دوره خلفنا ..

وفي أول مايو ، فاز النادي الأولمبي السكندري على نادي الهلال. بطل أندية السودان.في مباراة العودة .. بكأس إفريقيـــا لأبطـــال الدوري.بثلاثة أهداف لهدف واحد ، وكانت المباراة قـــد أقيمـــت بإستاد الإسكندرية ، سجل الأهداف للأولمبـــي.حلمـــي ســـليمان ومحمود بدوي والقزاز.وسجل للهلال الســـوداني ، الشـــاويش .. زاظ النادي.وامتلأت الصالة الكبرى بالمهنئين .. وأمام احتفالات النادي بالفوز ، تضاءلت أضواء الحفل المتواضع.الذي أقمناه في ركن الصالة .. لكنني تمكنت من إطفاء الشموع ، وحصلنا علـــى الهدايا.من الذين حضروا الحفل .. بعضها كان شخصيا.وبعضها عائليا .. وعندما حضر أخي إسماعيل.بصحبة زوجته (فـــؤاده)

التي كانت في قمة زينتها ، ومن لا يعرفها.يعتقـد أنـها إحـدى نجمات المجتمع السكندري الراقي .. غادر أبي الحفل مع (الليثي عبد الناصر) أمين المحافظة ، الذي كان قـد حضـر المبـاراة وجزءاً من حفلنا .

رحبت أمي بزوجة أخي ، واحتوتها في أحضانها ، تقبلها وتحنـو عليها .. ثم تنفعل وتبكى ، وهى تعيد احتضانها كأنها تعتذر لـها عن موقف والدي المتشدد تجاهها .. وكانت فؤادة رقيقة ، وجميلة . وتتصرف بتلقائية ، وتلتصق بإسماعيل .. وقبل أن نغادر النـادي .. ونحن على الباب العمومي .. حضر أخي سـعيد.فـي حلتـه العسكرية .. كان قد ورث أفضل ما في والدينا ، بياض بشرة أبي مع شعره الكستنائي.والعينين الملونتين .. وطـول قامـة أمـي . ورشاقة صباها ، قبل أن تلقى السنون بطبقات من السـمنة علـى بدنها .. مع خلطة من الصرامة والمعابثـة .. فـهو إذا أراد أن يكون جاداً فعل ذلك بدون أن يشعر من حوله بثقل ذلك التصرف .. وهو إذا ما أخذ يهزل ويشاكس من حوله .. فقد يبعث ذلـك شئ من البهجة.التي تفلت من ثقل الموقف .. كان سعيد قد أتـى بسيارة فورد صغيرة تخص صديقه (كمال) ، الذي يعمل فـي حقول البترول في الغردقة .و الذي إما أن يلازمه في مشـاويره أثناء تواجده في إجازة بالمدينة .. أو يمنحه (مفتاح السـيارة) ويخلص منه .. كان يقود السيارة بنفسه ، وكنا نهم بالخروج من باب النادي .. وكان الربيع لا يزال يتعلق بمقدمات الصيف.فـي ذلك المساء الندي.وحدائق الشلالات بأشجارها وتلالها الصناعيـة تترامى أمام باب النادي ..

أوقف سعيد السيارة بشدة ، قبل أن يصطدم بساق إسماعيل. الـــذي جفل .. ندت صرخة هلعة من فـــؤادة . وهـــي تتعلـــق بـــذراع زوجها.. صرخة صدرت في تلقائية ، وهي ترى هـــذه الســـيارة الصغيرة تنحرف وتكاد تطيح بزوجها .. كادت أن تشتبـــك مـــع السائق الذي كان في ملابس الضباط ، وهي في ثورتها .. عندما هبط هذا السائق من السيارة ، وتقـــدم مســـرعاً نحـــو زوجـــها وأحتضنه بشدة .. يكاد يرفعه من فوق الأرض .

قطعت استرسالها الغاضب ، وشهقت من المفاجأة .. أدركت على الفور من ترحيب الآخرين به ، أن هذا الضابط الشاب هو (سعيد) الذي رأت صورته مع زوجها .. والذي لم تره من قبل .. كـــان سعيد قد علم بما حدث من خلافات ، من جراء زواجهما. الذي لم يباركه ثابت أفندي .. ترك إسماعيل يهبط من أحضانه ، والتفت نحو فؤاده . وشهق شهقة من يفاجأ بشيء رائع. وقال :

– من المؤكد أنت مدام فؤاده .. زوجة أخي الحبيب .

هزت فؤادة رأسها ولم تنطق .. كانت عيناها تتألقان ، وقد فغرت فمها الجميل ، وإذا بسعيد يميل ويقبلها من خدها وهو يردد :

– ألف مبروك يا مدام فؤاده .. أبي لم ينجب إلا الجنس الخشـــن

نظر نحو أمه التي اقتربت منه حتى أمسكت بذراعه وقال :

– كان لابد وأن تستبدلي واحداً بواحدة.. جميلة. مثل زوجة أخي .

صاح إسماعيل :

– الحقيقة أنا ورؤوف شكلنا لا يشجع .. المفروض أنـــت. الـــذي تستبدل .

.. وتناثرت الضحكات ، وكانت ضحكات سعيد من القلب، وبعدها استدار. وأخذ يقبل خدود أمه .. ثم حشرنا جميعـــاً في السيـــارة

الصغيرة ، وأخرج كتفه وذراعه من نافذتها ، وهو يقودها عــائداً بنا إلى الرمل .. في [فلمنج] قال إسماعيل :
- يا حضرة الضابط .. من فضلك نزلنا في غبريال ..
فهم سعيد ما يقصده إسماعيل.من أنه لا يريده أن يذهب به إلـــى (سان استفانو).بل يريده أن يتجه به إلى بيته ، في أرض سموحة الجديدة .. (بيت عم شعبان) لكي لا يسبب حرجاً لزوجته .
كان في تصوري.أن ثابت أفندي قد سبقنا إلى الشقة الخواجاتي ، وخلع ملابسه ، وارتدى جلبابه ، وفوقه الروب الصوف المربعات وأخذ مكانه على الكنبة الأستديو.التي بالصالة.تحت صورة جمال عبد الناصر ، وصورة المشير عامر.. تتوسطهما.صورته.وهـــو يسلم على السيد الرئيس ، يداً بيد ، على سلم مسجد المرسى أبـــو العباس .. ذلك.عندما قام الرئيس بصلاة عيد الأضحى في المسجد الكبير .. وقام التنظيم بالإسكندرية مع الأمن ، بدعـــوة أعضـــاء الأمانة العامة ، والأقسام ، وعدد من شباب المنظمـــة ، وكبـــار المسئولين ، لحضور الصلاة - فامتلأ المسجد بأهل الثقة ، وبعـــد أن فرغ (سيادته) من صلاة العيد.والاستماع للخطبـــة ، وقـــف على عتبة باب المسجد ، في انتظار اقتراب سيارته ، وانتـــهزت القيادات الفرصة ، ليقدموا لسيادته التهنئـــة بـــالعيد .. وكـــانوا يسلمون عليه بأياديهم ، بينما المصورون يقومون بـــالتصوير ..
التقط أحدهم صورة لثابت أفندي . كانت بالنسبة له ، فرحة العيد. ، كبرها ، حتى صارت في حجم صورة الرئيس ، وجعلها تتوسط صورته.وصورة المشير .. وتحت الصور الثلاثـــة.ذات الأطـــر المذهبة ، كانت جلسة ثابت أفندي المفضلـــة ، يحتســـي فنـــاجيل القهوة ، ويتحدث في التليفون القريب من ذراعه ، وربما يتنـــاول

غذائه وهو في مكانه .. وقد ينام على هذه الكنبة في بعض الأيام .. في آخر حديث معي ، كان يتحدث بإعجاب عن العمارة التـــي أقمنا فيها.ويدفع أمامي ، ببعض المعلومات ، التي وصلتـــه.عـــن مساحتها ، وملاكها الأوائل ..

كانت نفس والدي قد هدأت ، بعد زواج إسماعيل ، وقيامه بشئون نفسه .. لكنه لم يكن يهتم بتتبع أخباره ، ولم يكن يسمح لأحد بأن يتحدث معه حول (فكرة) إعادة المياه إلـــى مجاريـــها ، ليـــأتي إسماعيل وزوجته إلى الشقة الخواجاتي لزيارة أمه .. وفكـــرت وهو يتحدث عن الطراز الإيطـــالي الـــذي تتمـــيز بـــه مبـــاني الإسكندرية القديمة ، أن أفاتحه في موضوع إسماعيل ، لم أكـــن منصتاً لحديثه ، عن السقوف المضفورة بالخشب.والمحملة علـــى الزوايا الحديد ، وقد انعطف إلى موضوعـــه الأثـــير .. الرخـــام الأبيض.الذي نحتت منه درجات السلالم ، وأرضية الشرفـــات ، ومدخل العمارة الواسع .. كان إعجابه شديداً بالرخام ، وله فـــي ذلك تعبيرات خاصة ، مثل (تلحس من فوقه العســـل) و(تنـــام عليه في الصيف لأنه يحتفظ بالبرودة ولا يتـــأثر بـــالحرارة) .. قلت في نفسي .. الآن غزالته رائقة ، سأذكر أمامه اسم شقيقـــي الكبير .. إذا اهتم ورفع حاجبيه الكثيفين ، وتساءل (ما بـــه . أو ماذا أصابه) سيكون من هنا مدخلـــي .. تداخلـــت فـــي حديثـــه المستفيض عن الرخام .. وقلت بصوت واضـــح (إســـماعيل) توقف عن الحديث وأطرق صامتاً .. لم يرفع عينيه نحـــوي .. تماديت.وأخذت أتحدث عن الاشتراكية ، وتذويب الفـــوارق بيـــن الطبقات ، مع أن لا فارق يذكر بينه وبين عم شعبـــان ، وربمـــا يزيد عليه ، أن عم شعبان صاحب صنعة .. وصاحب منزل من

طابقين .. وواصلت حديثي أمامه عن دور العمال في المجتمـــع
الاشتراكي .. كان لا يزال مطرقاً ، ورأيت أنه ما دام يستمع إلى
حديثي ، كان ذلك يشجعني على مواصلة عـــرض المشكلـة ..
توقعت أنه سيرفع وجهه ويبتسم ، ليكون في ذلك فاتحـــة خـير ،
ومدخل إلى الصلح ، على أساس أنه واحد من السياسيين الذيـــن
يرددون هذه الشعارات التي ترفعها الثورة .. كما أنـــه لا يـزال
يمارس مهام منصبه ، في لجنة المصالحات .. فكيف يكون بـاب
النجار مخلعاً ..

كان إسماعيل في رأيي ، هو الأخ سيئ الحظ .. إذ أنه جاء فـــي
أول الصف ، وقام بدور مصدات الريح العاتية ، لحمايتي وحماية
سعيد .. واستكملنا نحن تعليمنا ، وحصلنا على وظائف مرموقة
بمعاونات من نفوذ أبي. أو نفوذ المرحلة . أما هو .. فقد تجـــرع
فقر البدايات ، مع السيد الوالد ، الذي لم يكن لديه ما يمنحه له ..
حينما كان مدفونا في الأرشيف ، تحت مستوى النظر .. قد يبقى
معلقاً أعلى السلم النقالى ، نصف يوم ، ليبحث بداخـــل الأرفـف
والاضنابير القديمة ، عن مستند مطلوب ، لأحـــد المتقـاضين ،
مقابل (نفحه) .لا تأتى له بثمن الدخان ..

ثابت أفندي .. صار باشكاتبا ، ويقيم في سان استفانو ، وعيالــــه
كبروا ، وصار لهم دخلهم ، وهم إذا لم يعطوه ، فهم لا يـأخذون
منه كثيراً .. جرى القرش بين يده .. والهدايا تأتي إليه من هنـــا
وهناك .. والرجل تناسى أيام شارع صريع الغواني ، بل إنه كان
يرى أن وجوده هناك كان خطأ .. لذلك لم أندهش ، عندما رأيت
وجهه يتغضن ، ويحتقن ، ورأيت عينيه تصطبغان بلون الـــدم ،
وكأني لا أحدثه بلسانـــي ، بل أخنقه بيـــدي .. هنا ، أنا الـــذي

ابتسمت في وجهه قاصداً تلطيف الموقف ، فهو قد لا تسعفه قريحته ، في أساليب الجدل بالمنطق ، ولا يجد أمامه إلا الثورة المفاجئة ، والانفجار غير المتوقع .. انسحبت في هدوء إلى حجرتي .. يصاحبني حديثه الشيق حول العمارة ، والرخام المصقول .. بقي الحديث يطن في رأسي ، وأنا أحاول الانصراف إلى شئوني الخاصة .. "

* * *

حال عودتنا من النادي .. بعد أن أوصلنا إسماعيل إلى بيته في أرض سموحة الجديدة ، وتخلصنا بصعوبة من احتفاء وترحيب عم شعبان بنا ، الذي لم يتركنا ننصرف ، إلا بعد أن شربنا الحاجة الساقعة ، ونحن جلوس بداخل السيارة ، وهو يقف خارجها ، يرحب بالست الحاجة ، ويفتح زجاجات الكازوزة ، ويناولها لنا من نافذة السيارة .. ويحاول معنا أن ننزل ونتفضل (شوية) في البيت ..

وأمي كانت محرجة ، وتعتذر في كلمات غير ذات معنى ، وأخي سعيد .. كان يوجه له الكلمات ، التي لم يقولها له أثناء زواج ابنته .!

وعندما عدنا ..حاول سعيد استخدام تأثيره الخاص مع أبى ، ذكر أمامه متعمدا ، أنها المرة الأولى التي يرى فيها (فؤاده) ، وانه لم يكن يظن بأنها بهذه الرقة ، ولها هذا الجمال الهادئ ، والذوق الرفيع ، في اختيارها لملابسها ، وتنسيقها لمظهرها ، وانه شعر بمدى الألفة والانسجام ، بينها وبين [أبيه] إسماعيل و.. كانت أمي تعض شفتها السفلي ، حتى لا يتمادى ، ولكن سعيد ، كان يقصد ، أن يسمع والده رأيه الخاص في فؤاده .. ثم تطرق إلى

عم شعبان ، الذي يعمل اسطي في مطبعة . وكيف يرى فيه شهامة ابن البلد .."
كان ثابت أفندي ، يرى عكس ذلك فيه -لان الرجل قبل زواج ابنته ، من (ولده) دون أن يتمسك بحضور [أبوه] عندما تصلب في رفضه ، اعتقد ، بأن تصلبه هذا ، وعدم ذهابه معه ، سيوقف مشروع الزواج من اساسة ..

باءت محاولات أمي بالفشل .. لكن والدنا لم يتجاوب مع سعيد ، .. كما انه لم يعبر عن غضبه . ومن ناحيتي ، رأيت أن الليلة جميلة .ويجب أن تمر دون عواصف ، كما أن التليفون كان قد رن ، وأخذ سعيد يتحدث مع أحد أصدقائه ، فخمدت العاصفة في مهدها .. وبعد المكالمة التليفونية ، خلع سعيد ملابسه الأميرية ، وارتدى (بنطلون) وفانلة (اسبور) ، قالت له أمي : الدنيا برد يا سعيد " فوضع فوق الفانلة (بلوفر) خفيف .. كان اثر الكاب على رأسه ، ولفح الشمس لوجهه يؤكدان أنه (عسكري) مهما ارتدى من ملابس مدنية ..أكل لقيمات سريعة من طعام العشاء ،الذي أعدته أمنا في صمت ، على ترابيزة السفرة - إذ كانت لا تزال متأثرة بحالة القطيعة (لإسماعيل) ، التي تقف حائلا دون أن يأتي بزوجه إلى بيتنا .. واتجه سعيد نحو باب الشقة ، وقف هناك وأخذ يرنو إلى والده الذي يتجاهله ، على غير العادة ، وقد جلس في المقعد الذي يكون ظهره نحو باب الشقة ، وهو ليس مقعده المفضل على رأس الترابيزة ..
قال سعيد بصوت بين الجد والهزل :
- ثابت أفندي .
التفت إليه والده في بطء بوجه لا يسمح له بالتمادي في الهزل

معه ، ضرب سعيد له تعظيم سلام ميري ، مع دق الأرض بكعب الحذاء ، وقال :

– تمام يافندم .. أتسمح لي ، أنزل محطة الرمل للقاء صديق ..

هز ثابت أفندي رأسه ، ولكنه بقي ينظر إليه من فوق كتفه ، بنفس الملامح المعقودة على باب الدخول إلى ما لا يرغب ، وقالت أمي ، جزءاً من اسطوانة الخوف على صحة سعيد ، وبرد الليل ، وضرورة أن يأكل شيئاً ، وأن ينام بدري ..

انتهز سعيد فرصة التقاطها لأنفاسها ، وقال لوالده باللغة الإنجليزية :

– أبو إسماعيل .. مساء الخير ..

وأغلق الباب خلفه وأنصرف .. رأيت ظل ابتسامة خفيفة ترف على وجه أبي .. من تلك الابتسامات الضالة .. وهو يحاول أن يبدو منهمكاً في التهام علبه الزبادي ، بينما كان يشغلني ترتيب بعض الأحداث في ذهني .. أحداث محلية وعالميه .. الأستاذ حسن ذهني ، كان في آخر لقاء تم بيني وبينه . وأنا اهبط معه سلالم الجريدة ، عندما تعطل المصعد .. اعتقدت انه سيتحدث عن تكرار انقطاع التيار الكهربائي ، ويعبر عن ضيقه من أفعال فأر السبتية المشهور .. لكنه كان يتحدث عن شخص مجهول ، له اهتمامات محدودة ، وطموحات غير محدودة ، ويحذر بأن هذا الشخص ، قد يكون مشروع رجل انتهازي (عظيم) ، أثارني فحاولت أن استفسر عما يقصده .. وقبل أن يتسلمه مني عدد من تلاميذه في الدار .. قال وهو ينصرف معهم : يا رءوف ، إذا بقيت دون ملاحقه للثقافة .. قد تكون أنت مثل هذا الانتهازي خفيف الدم ..!

[الحكومة اليمنية ، وجيشنا لا يزال في الجنوب العربي ، يتصدى للمرتزقة المعضدين من بريطانيا العظمى ، في الخفاء ، ومن المملكة السعودية في العلن - أعلنت أنها تدرس تحديد إقامة القائم بالإعمال الأمريكي في صنعاء .. كإجراء مماثل لما بدر من أمريكا ، ضد بعثه اليمن الدبلوماسية ، المرسلة من النظام الجمهوري .. وأمريكا تتراجع ، وتلغى القيود التي فرضتها على البعثة الدبلوماسية اليمنية .. فتتوقف حكومة اليمن أيضا عن مضايقة القائم بالأعمال الأمريكي .. والبيضاني ، يعلن أن موظفي النقطة الرابعة الأمريكية ، حاولوا نسف مبنى القيادة العسكرية العربية ، والمدرسة الحربية في تعز ، وأنه حصل على وثائق تثبت ذلك ، منذ فبراير الماضي - كما أن في حوزته - جهاز إرسال واستقبال أمريكي حديث ، عثر عليه مع الجناة في تعز ، وقد أقر أحدهم في اعتراف مكتوب بأنه جاسوس !!]

فكرت في كتابة مقال أو تعليق حول هذا الموضوع - ألقي فيه الضوء ، على الأصابع الخفية ، التي تواصل عبثها بمقدرات الشئون الداخلية للدولة العربية الوليدة .. وضعت بعض الأفكار على رأس صفحة ورق بيضاء بالقلم الرصاص .. ثم توقفت أتأمل العدد الأخير من جريدتنا ، ومقال (على صبري) المنشور في صدرها ..

[..مثل من الواقع الملموس لوحدة الفكر حول الأهداف والاختلاف في الأسلوب الموصل إليها ، ونعني بذلك - أن أعضاء اللجنة المركزية ، يلتفون حول فلسفة الميثاق ومبادئه وأنهم يتخذون ذلك دليلاً لعملهم ، يلتزمون به في قيادتهم للعمل السياسي في شتى المجالات ، حتى ينعقد المؤتمر الوطني عام ١٩٧٠ ..

إن التطبيق العربي للاشتراكية في مجال الزراعة (كمثال) لـــم يأخذ بمبدأ تأميم الأرض المستولى عليـــها مـــن (الإقطـــاع) أو المستصلحة بجهود الدولة وتحويلها إلى الملكية العامـــة ، ولكنـــه آمن بضرورة توزيع أرض الإقطاع ، والأرض المســـتصلحة ، على الفلاحين الأجراء ، والمستحقين من الذين عاشوا فوق هـــذه الأرض جيلاً بعد جيل ، يقاسون عذاب حفنة مـــن الاقطـــاعيين واستغلالهم ..]

تذكرت الأستاذ حسن ذهني مرتين ، وأنا أقرأ مقال (على صبري) ، كانت المرة الأولى عندما توقفت أمام عبارة – التطبيق العربي للاشتراكية – فإن (حسن ذهني) لا يرى إلا (اشتراكية) واحدة في العالم ، أما فيما عداها ، فإنها محـــاولات لإصـــلاح الرأســـمالية وتجميل وجهها ، والمرة الثانية ، عندما قرأت عبارة – لم نـــأخذ بمبدأ تأميم الأرض – لقد كان (حسن ذهني) بشعـــره الأبيـــض. ووجهه الأسيوي المغضن ، يقف على النقيض من أفكـــار علـــى صبري ، ولم يكن يتحدث بحذر مثل الآخرين ..

وكنت على علاقة بأفكاره اليسارية ، منذ كنا في الجامعة ، وقـــد توصلنا ، ونحن في حماس الانفعالات الجماعية ، بأنه شيوعـــي يقف على يسار الثورة ، وهو الذي يعتبر أن ثورة يوليو استكمالاً لثورة ١٩١٩ ، وأن قيادة الأفندية لهذه المرحلة ، تتضمن بالدرجة الأولى صعود هؤلاء الأفندية ، لمرتبـــة البكـــوات والبـــاشوات ، وليس نزولاً إلى الطبقة العاملـــة بـــالفعل ، وتســـليمها الرايـــة ، وإعدادها لتولى القيادة .

وكان يرى أن عمر هذه الثورة ، مرهون بالزمن الذي تخطف فيه الراية من الضباط الوطنيين .. وقد يختطفها ضباط آخرون ، كما

يحدث في أمريكا الجنوبية ، أو تسيطر عليها (قوة المال) وهى قوة فعالة ، فعملية الشفط ، ستكون إلى أعلى مرة أخرى - وكنا نرى أن الفئات التي تؤمن بأن مصالحها مرتبطة بالحضارة الغربية ، لا تزال ترى ، أن الغرب وقوته العسكرية التي عسكرت على أرض الوطن عشرات السنين . هو جدار أمان يحتمون به ..

وإن هذه الفئة التي صارت لها جذورها ، في المجتمع ، وإمداداتها في الخارج ، والتي خرجت برأسها سليمة من سيف الثورة . التي اختارت أن تكون بيضاء ، ومباركه -هي الفئة القوية القادرة - على استئناس شطط الثورة ، ثم تدجينها وذبحها في وليمة تقام بمناسبة عودة (الإنجليز) مرة أخرى .. أو من يقوم مقامهم ..

توزعت جهودي .. وكنت متعباً .. فلجأت إلى السرير .. أغمضت عيني ونشاط يتدفق في جسدي ، لا يجد له منفذاً ..

استحضرت (نوال فتحي) الصحفية ، التي تعمل في مجال الفن والمسرح والسينما .. ورأيت أنها تتطلع إلى أن تكون (فنانة) ، وما الصحافة إلا وسيلة .. ورأيت أنها تشعر بأن لها جسداً يساوى (شيئاً).وربما يمكن أن يدر عليها دخلا أعظم من الصحافة وتعب (الرأس) ، ومن جهتي رأيت أن لها وجها يمكن بالفعل أن يعثر عليه أحد المخرجين ، أو المنتجين ، بسهولة مع قليل من التخطيط الذكي .. كانت في حياتها ، تقوم بالتمثيل ، وتقلد المشاهير .. اعتدنا أن نأكل السندوتشات ، ونشرب المشروبات في أحد المقاهي المتوسطة ، وفي محاولتي الأولي للتقرب منها. جفلت ، فلم أتابعها بإلحاح .. تخابثت وضفرت لها بعض

الأكاذيب ، فالذين يعشون على الأوهام ، يمكن خداعــــهم بنفــس الوهم ، قلت لها: أنني على علاقة وطيــدة بــأحد المخرجيــن – طلبت مني أن اذكر اسمه – فذكرت أسم (شكــري الجمــل) ، الذي عاد من أمريكا بعد دراسته للإخراج السينمائي هناك .. وهو اسكندراني ، جعلته قريباً لوالدتي ، وجعلت له شقيقة ، سيتزوجها أخي الضابط .. اقتنعت نوال ، فاقتربت مني متلهفة .. أخبرتــها أنه يبحث عن وجه جديد لفيلمه الأول ، وجه أنثوي هادئ .. نوال الصحفية الفنانة ، التي كانت تحتفظ بمسافة مقدرة بينـــي وبينــها على عادة أصحاب الطموح في تعاملهم مع الزملاء فـــي نفــس الصف .. كنت لا أطلع على أسرارها ، وعلاقاتـــها . وإذا بــها تنجذب تلقائياً نحوي ، تدفعها رغبتها في اقتنـــاص الفرصـــة .. قامت بإلغاء المسافة التي بيننا ، والتصقـــت بـــي ، إذ صـــارت تلازمني في الأيام والليالي التي أكون في العاصمة ، وأنا أدفـــع بالمزيد من الأكاذيب ، بقدر محسوب .

وعندما أعود إلى الإسكندرية ، كانت تواصـــل تتبــع أخبـــاري بالتليفون ، لتثبت لي بحق ، أنها انتقلت من الزمالة إلى الصداقة . كنت أجد في هذه الخدع بعضاً من تسليتي ، وتمكنت من توثيـــق الصداقة ببعض القبلات ، والضمات التي كانت هي أيضاً تفــرط فيها بقدر محسوب . وتتطلع إلى اليوم الذي أقدمها فيه لشكـــري الجمل..على أنها خطيبتي ،التي يجب أن يركز عليها في شغله .. تذكرت أن (نوال فتحي) لم تتصل بي ، أو أتصل بها منذ ثمانية أيام .. فكرت أن أقوم وأتصل بها .. أسمع صوتها .. لكن فاتورة التليفون المباشر ، التي تجعل ثابت أفندي ، يجـــأر بـــالشكوى ، وقفت حائــلاً .. مع وجود الجهــاز بجانب رأسه على الكنبـــة

الأستوديو فـي الصالة ، أرجأت ذلك إلى وقت آخر .

[جريمة وحشية للإنجليز ضد تلاميذ المدارس في مدينة عدن .. وجبهة التحرير هناك ، تعلن الإضراب العام ، استنكاراً لمصرع وإصابة عشرين تلميذاً ، عندما نسفت الألغام الأرضيـة سـيارة محملة بالتلاميذ .. انفجر اللغم المخصص للدبابات تحت عجلات السيارة ، فدمر مقدمتها ، في حي الشيـخ عثمـان .. الإنجلـيز يبرأون أنفسهم أمام صحافة بلادهم ، من أن اللغـم بثتـه جبهـة التحرير ضد دباباتهم ، فتعثرت به سيارة التلاميذ !]

.. بعد نصف ساعة أغمضت عيني وسلمت جسدي للكرى .. لكن بلا فائدة ، كان عقلي يهدر ، عـدت ونزعـت الغطـاء وقمـت وجلست على مكتبي الصغير .. أضأت الأباجورة ، وبدأت أكتب في الموضوع الأخير " كان عبد الناصر يهاجم بقاء الإنجليز فـي اليمن الجنوبي .. فحملت ذلك لوجود الاستعمار هنـاك كمحتـل وعضدت شرعية المقاومة ضده ، وألقيت بخطأ انفجار اللغم عليهم ، كتبت المقال بانفعال .. قرأته مرة ثانيـة ، وحشـرت بعـض العبارات بين السطور ..

وأطفأت المصباح .. فساد الحجرة الظلام .. وبهدوء ، تسللت إلى الفراش .. أخشى أن يستيقظ نشاطي ويجافيني النـوم . وسـلمت نفسي للنعاس المتقطع ..

****\

.. بيني وبين والدي مسافة ، قد تقصر أو تطول ، تضيق أو تتسع ، ولكني أشعر بوجوده داخلي ، ألتقي به دائماً ، حتى ولو لم أره لعدة أيام ..

ولم يحدث بيني وبين ثابت أفندي صدامات مؤثرة – على الأقـــل حتى الثامنة والعشرين من عمري .. سوى مرتين ..

طفولتي كانت عهدة أمي رئيفة .. وهي سيدة بالكاد.تســـتطيع أن تفرق بين حروف اللغة العربية والأجنبية .. ولكنها اكتسبت خبرة حياتية عميقة ، من مخزون عادات الطبقة الوسطى الصغـــرى ، وتقاليدها التي تسترشد بها في قداسة آيات القرآن الكريم .. وفـــي هذا المخزون الذي تطلق عليه [الأصول] ، كانت نشأتنا الأولى .. نشأة تجمع بين المناهج النفعية ، والخرافات الموروثة .. وإن أفلتنا من سطوتها عند السادسة أو السابعة ، فإلى الحارة في الحي الشعبي ، وهي طور آخر في تربيتنا ، لا يمكن كشف من ربتـــه الحارة ، ومن تعهدته الدادة ، فيما بعد ، لأن الدادة المصريـــــة ، تأتي أيضاً من الحارة ، مكتسبة ثقافتها العميقة من تلك الحـــارة .

لذلك تبقى الفروق بين من هم في قاع المجتمع وقمته ، منحصرة في كمية الأموال التي يحوزها طرف منهما – فليس في مجتمعنـــا ألوان الدم الأزرق والأحمر .

حتى شراذم المماليك ، والترك ، والشركس ، والأجناس الأخرى التي عملت في نسيج المجتمع .. كانت الحارة تتكفل بهم ، وتزيل من نفوسهم التمايزات العرقية ، ولا تبقـــي إلا علـــى تمـــايزات الامتلاك ، والثروة ، وبظهور المثقفين ظهر تمايز آخر ، يناطح

تمايز أصحاب الثروة ، وهذا التمايز ، كان من السهولة امتلاكــه إذ قام بصهر كثير من الفوارق ، حتى قبل أن تطلق الثورة هــذا الشعار أو تتبناه ..!
كان الصدام الأول ، الذي ضربت فيه (علقه حامية.نصفها موت) على أثر ثورة غضب ، لم تكن مفاجئة ، ألمت بالسيد الوالـــد .. عندما كنت في المدرسة الإعدادية .. فقد اشتركت مع عصـــابتي في الفصل ، في تنفيذ سرقة كمية من البسكويت ، والحلويـــات ، والشيكولاتة ، من مقصف المدرسة ، وكان هدفنا من وراء هـــذه السرقة ، ليست حاجتنا الشديدة إلى الحلويات ، بقـــدر مـــا كـــان قصدنا.توريط التلاميذ الذين يقومون في المقصف بـــالبيع ، فـــإن واحدا منهم على الأقل ، كان ثقيل الدم على قلوبنا ، وكان قويـــاً بالدرجة.التي لم يفكر أحد من أفراد شلتنا في (لته علقة) ، فقـــد كان مشروعاً لملاكم من وزن ثقيل .. وانكشفت حالة السرقة مع أنها تمت بنجاح وتخطيط محكم .. فقد عملنا على أن نبقي النافذة مفتوحة من الداخل في المقصف ، وتسلل أحدنا ، وكان رفيعاً ، ويتمتع ببدن مطاطي ، إلى داخـــل المقصـــف ، وناولنـــا علـــب البسكويت ، والشيكولاتة ، والحلويات بوفرة .. قمنـــا بتوزيعـــها على أنفسنا ، وشرعنا نلتهم منها ما نستطيع .. بل ونقوم بتوزيـــع الباقي على المعارف وغير المعارف من التلاميذ .. لكـــن الولـــد الذي تسلل ، لم يخبرنا انه فتح درج الإيراد ، ودس فـــي جيبـــه بالمظروف ، الذي كان به بضعة جنيهات ، حصيلة البيع لعدة أيام .. ولما انكشف الموضوع ، وانهار أحد المشاركين في العمليـــة أمام الرعب ، والتهديدات ، ثم الوعد بتحويله إلـــى شـــاهد فـــأقر باعترافات تفصيلية ، أتت بأرجلنا جميعاً في الخيّة.التي تابعهـــا

الناظر شخصياً .. ثم جمعنا من الفصول ، وأدخلونا إلى حجـــرة الناظر للعرض ، ومنها إلى حجرة الفئران والكراكيب ، وطلـــب الناظر سرعة إحضار أولياء أمورنا ، ولا يقبـــل الأقـــارب ، أو الأمهات ، في حالة وجود الآباء على قيد الحياة .. وحضر ضمن من حضروا (أبي) . كان الناظر يســـتقبلهم أولاً فـــي مكتبـــه وبهدوء ، يشحنهم بتفاصيل الحادث ، حتى يختنقوا بالغضب ، ثم يطلقهم على أولادهم ينهشونهم .. كان يحيلهم إلى ذئاب ضاريـــة بمنطقه الهادئ .. وأنه لا يرغب في تحطيـــم مســـتقبلنا ، فيقـــوم أولياء الأمور - الآباء يكونون أكثر توحشاً من الأعمام والأخوال والأمهات - بتحطيم ضلوعنا .

وتسلمني أبي ، من أوضة الفئران المظلمـــة ، وأخـــذ يلطمنـــي ويركلني وأنا أحاول الإفلات ، أصيح مبرئاً نفسي من هذه التهمة ، وكلما أقسمت بالمقدسات ، ازدادت ثورته .. أستغيث ولا مغيث .. والأساتذة المدرسون ، وقفوا يشاهدون طريقة إنـــزال العقـــاب على الجناة ، ولا يحركون جفناً ، بل أن بعضهم - سامحهم الله - كان يعمل على بقائي في مجال التلطيش والضربات المؤثـــرة .. عبرت حوش المدرسة ، في أطول رحلة ، فقد كنت أندفـــع إلـــى الأمام فتدور أقدامي كعجلات السيارة المغروزة في الرمـــل .. إذ أن والدي . كان يقبض على ياقة قيمصي من الخلف بيد ، ويكيل لي باليد الأخرى ، الضربات على عنقي ، وظـــهري ، وإذا مـــا تلفت نحوه ، أسترحمه.سقطت لطماته على وجهي ، فـــآثرت أن أخبئ رأسي تحت ساعديّ ، وأحاول بقـــدر المســـتطاع ، تلقـــي ضرباته عليهما .. ولم ينقذني منه إلا (عم عبد المتعال) الفراش الذي يضرب الجرس ، ويضرب الأولاد الأشقياء الذين يقفـــزون

من فوق سور المدرسة .. هجم على والدي واحتضنه تحت إبطه وأفلتني منه ، وهو يصيح فيه : الولد سيموت في يدك يا مجنون . بالفعل كان والدي في حالة جنون ، وهو يرى كل ما فعله من أجلي ينداح أمام بصره .. وجهوده في التربية والتعليم تسفر عن لص وزعيم عصابة .. لكن (عملتي السوداء) جعلتني أتقبل هذا الجنون وأتحمله . كان والدي ينتظر من يفلتني منه ، إذ أنه كف ، وتركني خلفه ، ومضى مسرعاً ، وغادر المدرسة قبلي .. بما يعني أنه لم يعد لي قيمة عنده حتى ينتظرني ، وسمح لي الناظر ، بعد محاضرة تأنيب لم أع منها حرفاً ، أن أغادر المدرسة ، وأعود في اليوم الثاني ، مستوعباً لهذا الدرس ، وفي ظني أن والدي كان سيقاتل بضراوة من يضربني بهذه القسوة مهما كان شأنه ، ومهما كانت (العملة سوداء) ، وأن حضرة الناظر ، كان لئيماً ، إذ فكر في أسلوب الانتقام من أفراد العصابة بما فيهم زميلنا المنهار ، بهذه الطريقة الفريدة .. فقد دفع بنا للعقاب والتجريس بواسطة أهالينا ، وجنب نفسه اللوم من الأهالي إذا ما فعل ذلك بنفسه ، وبقيت أشعر بالخزي بضعة أيام ، حتى سقطت عصابة اخرى من التلاميذ ، كانوا يسرقون الفواكه الناضجة ، والزهور اليانعة ، من فيلا اللواء ، التي تجاور المدرسة .. استدار إليهم الاهتمام ، وكان كثيراً من التلاميذ الذين أعرفهم ، والذين لا أعرفهم ، يشجعونني ، ويهونون من حرارة العلقة التي حصلت عليها .. بل ان بعضهم ، كان يسأل ، إن كان لا يزال معنا بعضاً من البسكويت المسروق ، ليتذوقوه ، لأنهم لم يحصلوا على أنصبتهم منه]

* * *

.. الصدام الثاني ، الذي ترك أثره على خدي حتى اليـوم ، فـي شكل جرح ملتئم . كان أبي قد لطمني يوماً بقوة علـى وجـهي بظهر يده ، وكان بإصبعه خاتم ذهبيٍ له فص فيروزي . جرحني وجعل الدم يتدفق منه . ذلك كان بعد أن تسرب له خـبر عملـي بالسياسة ، وهى العملة السوداء الثانية. التي (عملتها) وأنا طالب في الجامعة ..

وقتها ، كنت قد عرفت الطريق إلى الجماعات الثقافية ، وبـدأت أشترك في المناقشات ، ويكون لي اهتماماتي ، وقد شعرت بذاتي التي كانت في فورة الحماس ، مضفـرة بـذات الوطـن ، إذ أن أحدهم ، قام بتحميلي بهذه الهموم ، مستغلاً إعجابي الشخصي به بديلاً عن عشق بنت الجيران ، وأنا في ريعان الشباب ، فتغزلت فيه ، وجعلت منه أنثى أحبها بالفعل ، أهمس لها بمتاعبي وعشقي ، أخاطب سحر عيونها ، وسعة صدرهـا ، وأبثـها أشواقـي ، وأنتظر عطائها، وكانت هذه الأنثى تتسربل بـالملس الفلاحـي ، ولها ملامح السيدة البدوية ، التي تجمع بين الأفريقية والقوقازيـة في خلطتها المتفردة .. وكنت شديد التعلق بالثورة ، ليس لأنـها ثورة يوليو، لكن لأنها ثورة . أتعجل منها التغيير الدائم والحركة ، أعاتبها. وأسخط عليها. إن هادنت أو تباطأت ، فـي حالـة مـن القرب والبعد ، الحب والكراهية ، الغيرة والشـوق ، وكـل مـا يحدث بين المحبين من مد وجزر .. ووجدت من خلال ما قدمته (حبيبتي) كل الأسباب ، كي أميل إلى عمالها و فلاحيها ، على أساس. أنهم الذين يطعمونها ، وأبتعد عن البـاشوات ، وأتجنـب التغريب ، وأبحث عن شخصيتي في التراث العربي والإسلامـي .. في القديم والمعاصر ، عندما فوجئت بمعشوقتي تغـدر بـي

وتلقي بكتبي في الشارع .. تمزق أشيائي التـــي أعـــتز بـــها .. تذكاراتي ، وألبوم صوري . . ! !

* * *

عملية الاعتقال الكبرى ، التي تمت في يناير ومـــارس ١٩٥٩ .. لم أكن أعرف أحداً معيناً من الذين اعتقلوا فيها ، معرفة شخصية ولكني كنت أعشق أفكارهم ، وآرائهم ، ورواياتهم ، ومقالاتهم .. وكان وجداني يرتبط ببعضهم .. اجتمعنا مجموعة من المثقفيـــن الذين يهتمون بالكتب – الأدب والشعر – ربما أكثر من اهتمامهم بالطعام .. كان اجتماعنا خارج أسوار الكلية ، بعيداً عن عيون الأمن وجواسيسهم من الطلبة ، الذين لا يؤمنون إلا (بـــالقرش) وكيف يحصلون عليه من أي طريق ..

كنا مجموعة من الشباب المتحمس ، مبادئنا ، نبت أخضر ، نكتب شعاراتنا على الهواء ، ونغير ونبدل المواقع ، طبقـــاً لاختـــلاف الأحاسيس والمشاعر .. وربما كان بعضنا يجـــد فـــي الارتبـــاط بالشلة ، هدفاً وحيداً ، وليس له في السياسة ، أو اتخاذ المواقـــف والإصرار عليها ، إلا حماس اللحظة ، وخشية من لوم الزملاء ، وأخذنا بحالتنا غير المستقرة هذه ، نبحث عن شئ نرد به علـــى دلال المعشوقة ، عندما تخطئ التقدير . " كان الرئيس ، وسيارته قد حملت فوق الأعناق ، من الأخوة في الإقليم الشمالي ، بـــأحد الميادين العامة في دمشق ، وصعد صوته إلى عنـــان الســـماء ، وهو يخطر في ربيع ثورته ، وبين أحواض زهـــور العـــرب .. وتساءلنا . هل كانت الأسباب لهذه الحملة هي عدم تأييد البعـــض للوحدة بين مصر وسوريا .. ؟

وقد عدها البعض ، وحدة حكومات لم ترق إلى وحدة شعوب ..

أم أن السبب كان في دمج جماعات اليسار في حزب واحد بمصر؟ .. وقرار فوقي ، بحل الحزب الشيوعي في سوريا فهرب خالد بكداش ، ليثير العالم الاشتراكي ضد عبد الناصر .. فإذا باليمين واليسار ، يتفقان، لأول مرة ، على حالة واحدة ، وهي وصف عبد الناصر ، بالديكتاتورية ، عدو الديموقراطية والحزبية . أم بسبب تحليلات في الداخل ، بأن عبد الناصر تحركه ردود الأفعال ؟ وكانت الثورة قد مصرت البنوك وشركات التأمين وطبقت قانون الإصلاح الزراعي في شئ من الشفقة والتغاضي عن مقاومة بعض البيوتات القديمة ، لهذه الإجراءات ، وإعطاء الكبار ، الفرصة لتوزيع أراضيهم على أقاربهم بعقود صورية والفرار بالثروات إلى الخارج ..

وبدأت الإذاعات الموجهة المعادية للثورة تسب (البكباشى) ، لم يكن لليسار الغاضب إذاعة ، من الإذاعات الإحدى عشر لليمين الرجعي المحافظ .. وكان سباب هذا اليمين الرجعي الذي يأتي من أماكن استعبدتنا ، وجعلتنا مواطنين من الدرجة الثانية - يتجمع ، ويصنع أوسمة على صدر الديكتاتور - الذي يفعل الشيء ، ونقيضه ، فيجعلني أسقط في بئر من الحيرة .. أمد يدي نحوه ، فلا أقبض على يده .. ولكني كنت أجد دائماً المبررات جاهزة في نفسي لأدافع عنه وعن الثورة أمام الآخرين ، وأتغاضى عن بعض الأخطاء .. وكأني مكلف (بأجر) للدفاع عن هذه المعشوقة .. لكن مسألة اعتقال قوى اليسار والديمقراطية والليبرالية ، دفعة واحدة .. تلك القوى التي لم يكن للثورة يد في تكوينها ، ومع ذلك استفادت الثورة من هذه التكوينات ، استفادة قصوى في مرحلتها (المباركة) ، هي التي قادت لها الشارع في

مرحلتها الجمهورية المتصادمة مع القوة الكبرى ، ثم حافظت لها على التدفق الجماهيري ، عندما تنازع الأخوان المسلمون مع الثورة ، للحصول على مكسب سريع ، وأطلقوا رصاصاتهم على الرمز في المنشية .. فسقطوا هم وارتفعت هامته . رأينا أن الثورة تستدير وتعاقب مؤيديها .. كمن ينقلب على أصدقائه ليخلو الطريق وينفرد به أعداؤه ، وأقترح بعضنا أن نقوم على الفور بتحرير خطابات إلى الرئيس : نكشف له الخطأ الذي تقع فيه الثورة ، عندما تعتقل الذين ساندوها في عدوان ١٩٥٦ والذين ناصروها وطنياً ممسكين لها بأعنة خيولها ، لتنطلق إلى الأمام .. يسألونه لماذا توقف واستدار ؟

وعادت المجموعة القلقة ، تقترح كتابة لافتات احتجاج والخروج بها في مظاهرات تطالب بالإفراج عن المعتقلين السياسيين مهما كان لونهم .. ثم تضاءل الاقتراح ، عند تعرضه للمناقشة ، واكتشاف صعوبات التظاهر ، في أعقاب حملة الاعتقالات الكبرى .. إلى الاتفاق فيما بيننا ، على مناهضة هذا العمل بالكتابة على الجدران سراً (أفرجوا عن المعتقلين السياسيين) عشرات اللافتات ، على الجدران وفي الميادين العامة ، ومحطات السكك الحديدية ، ومحطات ترام الرمل .. وهذا العمل السريع ، لن يكلفنا إلا جرادل البوية ، وفرش للكتابة .. بل يمكن تحذير الرئيس على الجدران ، بأن ضباط المباحث العواجيز الذين خدموا في العهد الملكي ، ثم تحولوا لخدمة الثورة لا يزالون أعداء لهذه الثورة الوطنية – وانهم سينتهزون الفرصة ، لينكلوا بالشرفاء في السجون – متناسين ، عن عمد ، أن الخلاف الذي نشأ ، هو خلاف بين عشاق ، سريعاً ما سيزول أثره ، إذا حدثت

المصالحة .. وأن هؤلاء ، يعمقون شقة الخلاف ، ويوسعون الجراح ، ليصلوا إلى جرح الكرامة ، الذي لا يندمل .. عسى أن تأكل الثورة عشاقها ، فيكون من السهل وضعها في طبق على موائدهم ، والتعامل معها بالشوكة والسكين ..
كنت قد أهملت دراستي في الجامعة ، وأخذنا نسهر طوال الليل لننطلق في الشوارع والميادين ، نكتب على الجدران شعاراتنا .. وكلما أزالوا ما كتبناه ، عدنا وكتبنا من جديد .. فأطلقوا خلفنا المرشدين والمخبرين ... وكان من السهل أن يقع بعضنا في قبضة الأمن ، متلبسين بجرادلنا وفرشاتنا .. حاولنا الفرار ، كانت مجموعتي تتكون من طالبين ، أنا أحدهم وثلاثة من شباب العمال .. ولكنهم كانوا أسرع وأقوى واعنف في القبض علينا ، وبالصدفة ، كان النقيب الذي تسلمنا في قسم الرمل ، صديقا لوالدي ، ويقيم أهله في شارع صريع الغواني بباكوس ، من أول وهله تعرف عليّ ، وتجاهلني ، ولكنه عمد إلى فصلي عن المجموعة ، التي زجوا بها في التخشيبه بالدور الأرضي .. وأرسل لاستدعاء والدي ،أختلي به وبين له خطورة (العملة السوداء) التي فعلتها ، وبتصرف ذاتي أطلقني في صحبة والدي قبل تسجيل بياناتي وإحالتي إلي النيابة .. وبمجرد خروجنا من قسم البوليس .. كنت أمشي خلف والدي ، لا أدري كيف أفسر له هذا الموقف ، كان يسبقني بخطوة ، انثنى في الشارع الجانبي نحو محطة ترام (سابا باشا) ، كنت اتبعه حزينا كسيف البال ، أفكر في الزملاء الذين تركتهم خلفي ، حافظت على الخطوة التي يسبقني بها ، و كان يحافظ أيضاً على أن يسبقني بنفس الخطوة ، فعندما استدار فجأة ، تمكن من أن يلطمني بظهر يده على خدي ،

ترنحت ولكني لم أسقط ، وتفجرت الدمـــاء مـــن خـــدي وأنفـــي
وورمت عيني .. كان يسير أمامي ولا يتكلم معي ، وعندما كنت
أمسح الدم بكم قميصي ناولني منديله وهو لا يلتفت نحوي . ربما
كان حانقاً ، وربما كان يبكي ولا يريد أن أرى دموعه ، ونحن قد
نختلف ، ونتخاصم وقد يصرخ في وجهي ، وقد أجادلـــه حتـــى
يهرب من أمامي ، لكنه لم يضربني إلا في هاتين الواقعتين .
في الواقعة الأولى قاطعني ما يقرب من شهر .. وحتى عندمـــا
عدنا نتخاطب سوياً ، كنت أشعر بأنني ابتعدت عنه ، وإننـــي لا
أطاول ساقه ، ولكن في الواقعة الثانية ، لم نتخاصم ، لأنه حـــال
دخولنا إلى المنزل ، أخذ يشكو لأمي وهو عندما يشكو لأمـــي لا
ينتظر منها رأياً في أي موضوع يطرحه .. إنه يشكو لنفســـه أو
يشكو مني لي .. وعندما فرغ من الشكوى التي تتضمن [الخوف
على مستقبلي ، واتهامي بالتهور وعدم تقدير المسئولية ، لما ينفقه
على من اللحم الحي ، ومقدار التضحيات الجسيمة ، والحرمـــان
الذي يتحمله ، ومعه أمي وأخي الكبير ، حتى أتم تعليمي وأصير
يوماً بني آدم) .. وعندما حاولت الرد عليـــه .. تركنـــي أتكلـــم
وأدافع عن موقفي ، وأشرحه من زوايا مختلفة ، بقي يستمع ولا
ينظر نحوي ، وصبر على عدم مقاطعتي ، وأنا أنقل لـــه وجهـــة
نظري التي هي وجهة نظر زملائي ، تجاه اعتقال قوى الثـــورة
لنفسها .. وبدا كأن القضية أكبر من أن يقول فيها رأياً قاطعـــاً ..
فعاد يحاول إسكاتي ، وتحويل المسار عن إقناعه بشيء لا يفهمه
، ولكنه كان أهدأ نفساً ، وكأنه يعتذر عن هذا الدور .. ولم يكـــن
أمامه إلا أن يستخدم نفس أساليب الحكومة في وأد الرأي الآخر،
أمرني أن أسمع الكلام و(أتلهي على عيني) حتى أنتهـــي مـــن

دراستي في الجامعة ،احصل على شهادتي أتسلم وظيفة تعينني على المعيشة وتجنبني الجوع والفقر ، وأخذا يشير إلى أوضاعنا الاقتصادية ، ويبين لي الفرق بين المسنودة ظهورهم ، والذين يشغلهم يوميا البحث عن لقمه العيش ، وأخذ يحثني على الانتهاء من الحصول على (الشهادة) وبعدها أروح (في ستين داهية)
ثم سكت عندما أخذ صوته يتحشرج في حلقه . كان يغالب البكاء ، وعاد يقول :

- لأنني في هذه الحالة سأكون غير مسئول عنك وانتهي من دوري نحوك .. فاهم .؟

شعرت وهو يتحدث بهذا المنطق وتلك الوقفات الباكية ، بكثير من العطف نحوه ، وتذكرت انه لم يحصل إلا على شهادة إتمام الدراسة الابتدائية ، وهى تعادل شهادة الإعدادية .. وأخي اسماعيل لم يحصل إلا على دبلوم التجارة الثانوي بصعوبة ، وعمل موظفاً ، ويصرح بأن معظم العمال يتقاضون أجورا افضل منه ، ويتمنى أن يعمل على ماكينات الإنتاج ، فإن هذا أفضل له ، فهو كمن رقص على السلم .. وانتقل لي إحساس بأن والدي يأمل في أن أحصل على الشهادة الجامعية .. ليست من اجلي ولكن من أجله هو .. تحقيقا لأحلامه التي لم تتحقق .. وعندما قلت له (أبى لن أفعل ذلك مرة أخرى) كنت كمن يكتب إقرارا على نفسه ، بعدم العمل في السياسة ، ويسلمه لضباط مباحث أمن الدولة وينصرف ..

لكن الدراسة الجامعية . خاصة في قسم الصحافة .. كانت لا تخلو من السياسة ، ولا من الآراء السياسية المتطرفة ، والمعارضة .. بل أنها مباراة في إتقان فن إقناع الغير ، بما في ذهنك أنت -

ولكنى عرفت كيف أكون سائسا لنفسي .. محترفاً أثناء المناقشات
، وتفريغ الشحنات .. ثم جبانا رعديدا ، إذا ما جد الجد .. وثمـة
عشرات الوسائل التي تبرر انصرافي عن المشاركة العمليـة -
وحتى أرضي ذاتي ، أقنعت نفسي بأن كل الطرق تـؤدى إلـى
السياسة .. وحتى أفلت ، وأشفى من هذا الداء .. داء الهدم وإعادة
البناء . راعيت أن تكون لي وجهة نظري الخاصة .. أن أقرأ ما
وراء السطور .. كان لابد من وسيلة تستوعبني ، حتى لا يعـود
المدمن إلى تعاطي المكيفات ..
.. من هنا تلمست طريق الفن والأدب . فيه الرأس تعمـل مـع
الذات تحت ستار من الأوهام والهواجس .. وعندمـا يطيحـون
(بكرسي في الكلوب) ويعم الظلام ، ما أيسر تحويل الفنون إلـى
جنون ..

/*/*/*/*/

.. إذا ما كتبت قصة ، أو تماديت في الانفعال ، وكتبت قصيدة محملة بالرمز .. أفرغت طاقتي الزائدة ، وشعرت بالهدوء ويتعذر على أعتي مباحثي ، فصل رؤية عن رؤية ، وتكوين أركان لوجهة نظر مجرمة عن نسيج العمل الأدبي – والشك قانوناً يفسر لصالح المتهم ، بتلك الثقافة [السراطية] أسير على صراط مستقيم ، أمامي السلامة ، وبجانبي الأيسر والأيمن نار السعير ، وربما فكرت لحظة أن الصراط المستقيم ذاته ، وجهة نظر سياسية ، وموقف قد يقودني إلى ما أتجنبه ، فتضطرب خطواتي .. "

من يصادفني ويقترب مني ، من التيارات المتناقضة ، التي تتعايش في حذر بالدار الصحفية ، أو تلك التكتلات التحتية ، التي تتظاهر بوحدة الصف وتضع على ألسنتها نفس الكلمات التي يرددها الرئيس .. قال في سوريا عبارة غير مصرية .. [بدي أقول ..] وصار الجميع إذا ما بدءوا حديثهم قالوا .. بدي أقول .. وأنا أيضاً صرت مثلهم أستخدم [بدي أقول ..] إن التكتلات في الدار كان لها رموزها وفلاسفتها ، منذ أن حللت (موظفاً) والرموز يعتقدون – لأني أفضل الاستماع ، ودراسة المواقف – أنني (أبيض) وهو اللون المضاد للأحمر ، المناكف المجادل – وليس للأسود كما في الطبيعة – ويمكن دفعي لكي أنضم إلى أرضية إحدى التيارات ، وأنا في الواقع ، لا أرفض ولا أبادر بالموافقة ، لا أفعل ذلك لموقف مضاد من أي تيار .. إعتقد معظمهم أنني أتهيأ لأكون معهم ، وأنا في الواقع ، اخترت أن

أكون مع (نفسي) منذ لطمة أبي على خدي ونزيف الدم .. ومن يكون مع نفسه ، لا يغلق الطرق المؤدية للآخرين ، على أمل أن يستقبل الواردات ، فهو لا يصدر شيئاً ذا بال .. !

بعض الكبار كانوا ينتظرونني في مكاتبهم الفخمة ، لأذهب إليهم وأحني هامتي ، وأقدم لهم فروض الولاء ، واعترافي بأني متيم بأسلوبهم في الحياة ، وسأدافع عن هذا الأسلوب بقلمي ، الذي لم يملأ بالحبر بعد ، ولكني كنت أقبع على مسافة غير ملحوظة من الجميع ..

... أحدهم كان إيجابياً فسعى إلي .. لأنه يكره الجلوس طويلاً في مكتبه .. كان ديناميكياً ، بالقدر الذي يجعله ممثلاً لإحدى التيارات المؤثرة في (الجورنال) ، هو ذلك اليساري الكبير(حسن ذهني) .. في نظري ونظر من يحيطون به ! هو أكبر شخصية في الدار الصحفية ، ربما يأتي تقديره - بعد الدكتور طه حسين - ومع ذلك ، كان نشيطاً .. هو الذي سعى إليّ - أنا الشاب المبتدئ الذي لازلت أحمل رقماً قد يحفظه الإداريون ، ولا يتذكرون إسمي - ولم يكن ذلك يخفي علي . وربما كان هذا من مبعث حذري القديم الملغمط بالدم .. !

إنه لا يفعل ذلك لتقديم حسنة بعشرة أمثالها .. بل إنه (مثلهم) رأى أنني خامة طيبة ، يمكن تشكيلها في مدرسته ، لأحمل بعضاً من رسالته ، وأستكمل جزءاً من مشواره - كان ذلك من أحلامي القديمة ، والأحلام القديمة تغمض عينيها وتذهب في سبات ، ولا تموت ، فهي قد تستيقظ في اللحظة المناسبة .. ومن الثابت ، أن اليساريين يعملون في هدوء ودأب ، في تنوير العقول .. ربما بالكيروسين وليس بالكهرباء ، ولكن العقول إذا ما استنارت -

ربما تخفت الإضاءة ، أمام زحف قطاع الطرق وقلوبهم الميتة ولكنها لا تطفئ الزبالة مطلقاً ، كما أنهم وبتلك الخاصية ، يكتسبون مجالاً لأفكارهم .. وهم لا يلجأون إلى العنف كالفاشيين والإرهابيين – إنهم ينتظرون أن تتضامن كل المصابيح ، فيبدد الضوء المبهر خفافيش الظلام .. وفي رؤيتهم ، بعض الأمل ، أن يقوم الذي سقط ، وأن يقوى المستضعف ، وأن يبرأ المريض ، وهم قادرون على الجدل .. لأن لديهم توصيلة لكل شيء انقطع وعندهم لكل مأزق منفذ – وليس من المهم إلى أين يؤدي – فالغريق يتعلق بأي شئ يطفو ، حتى ولو كانت (قشاية) .

كاد يصيبني الغرور ، إذ كان هذا الأستاذ العظيم والكاتب الكبير والمناضل ، الذي أمضى عدداً من سنوات عمره في السجون والمعتقلات .. يتفرغ لي ويناقشني ويحيطني باهتمام الصديق للصديق – يقدم لي خدماته بتواضع ساحر – يجعلني وأنا بإحساس الخادم ، أشعر بأني المخدوم .. يصحبني إلى بيته – دون دعوة مسبقة – ولكنها تأتي طبيعية وكأنه شقيقي ، يأخذنا الكلام ، فنجد أنفسنا نطرق باب مسكنه ، تستقبلني زوجته الدكتورة الجامعية ، بدفء أمهاتنا في الأحياء الشعبية ، فمن يصحبهم الأستاذ معه ، لهم مكانهم على السفرة ، على الفور .. تزيد الأطباق طبقاً ، والدكتورة دائماً مشغولة بالدراسات والندوات ، وهي قد تطلعنا على جانب منها ، أثناء خدمتنا بنفسها – أنظر حولي في أرجاء المسكن الذي ينم عن وقار الثراء ، وليس على بذخه ، فلا أجد خادماً .. ويبرر الأستاذ ذلك بأن وجود الخدم يبعث على الكسل ، والتمسك بالسيادة ، والقتال من أجلها للاحتفاظ بالكسل اللذيذ .. وإن الشخص ليس من طبيعته أن يبذل

نشاطاً ، النشاط يعني ، أنه يصنع فائضاً يستفيد منـــه أخـــرون -
الحيوانات في الغابة كسولة ، تنام وتتثاءب ولا تبـــذل نشاطـــاً إلا
للحصول على طعامها الخاص بها ، وغريزة الأمومة الأساســـية
هي التي تدفع الأم لأن تترك شيئاً من طعامها لأولادها ، لا تسعى
لإطعام القطيع .. الإنسان حيوان ناطق .. وعلينا أن نتدرب على
النشاط .. النشاط يولد نشاط ، وفى هذا فائدة قصوى لـــــــ ... ،
وهكذا كان الأستاذ يدفع أمامي بفلسفته .. الذي يطبقها على نفسه
.. كيف تعيش للآخرين ، ونادرا ما يتحدث عن ابنته الوحيدة التي
سافرت إلى الاتحــاد الســوفيتي ، لاســتكمال دراســتها هنــاك
والحصول على دكتوراه في دراسة علمية - وعندما كان يجعلني
أشاهد آخر صور (جيلان) ، اعتقدت للحظة ، أنه قد اختـــاروني
للزواج من تحفته الجميلة .. فقد صرت أحد الخلصاء المقربين له
، وفارق السن بيننا (الضعف) يتلاشى ، حتى أتمكـــن مـــن
البوح بأسراري .. ثم أتبين أن هناك كثيراً من الخلصاء المقربيـــن
يرفعهم إلى نفس الدرجة .. فلا أشعر بالغيرة ، وبأسر الصداقـــة
وحيدة الجانب ، واقبل العبور منه إلى كل من يثق فيهم .. كـــان
أحدهم طبيب أطفال .. فتح عيادة في حي شبرا الشعبي ، يعـــالج
أطفال الفقراء بأجر رمزي - أنه خطيب جيلان - الذي تمكن من
إقناعها بشخصيته قبل سفرها ، فكـــانت لـــه ، ولا أدري لمـــاذا
اقتربت من هذا الطبيب الشاب ، الذي يساهم بأبحاثه العديدة فـــي
أمراض الأطفال المتوطنة ، وله مكانة بين الأطباء الأساتذة فـــي
القصر العيني .. وباع ارثه من أهله ، أنفقه على عيادتـــه ، ولا
يملك شقه مناسبة للزوجية ، ولا يملك سيارة في زحام القـــاهرة ،
وتخلص ببساطه من المظهرية المقيتة ، وهو الذي يستطيع أن

يكون لــــه (الفائض) الذي يجعله – من الفئات العليا ..
في الواقع . كان (حسن ذهني) وعائلته ونشاطهم . قد أ ثـــاروا إعجابي ، فأنسوني حذري القديم .. وجعلني موقفهم من (حصـــد الثروة) وإعادة أنفاقها .. هم يتعففون عن شئ اعجز أنا عن فعله بل يتواري داخلي ويتملكني –أتوقف لاعادة النظر في موقفي ..
وجدت نفسي انجذب إلى أسلوبهم ، أفتش في جوانب (حالتـــهم) لأكتشف بنفسي الدوافع التي لا يفصحون عنها .. لابد أن هنـــاك عائداً أفضل من التملك والثروة ..!
كنت في حاجه لمساندته . وهو الكاتب الكبير. الذي – يســـاويك بنفسه من أول لقاء ، فلا تفلت من الإحساس به – وهو الكـــاتب الكبير الذي يهاجم مـــن وراء ظـــهره بضـــراوة ، وفـــي نفـــس الوقت(ينافقونه) ويعملون حسابا لآرائه ، إذا ما واجهوه ، وأنـــا في بدايتي الصحفية وقد فتح لي باب الصداقة الذهبـــي . وكـــان واسعاً ، يمكن لمن يدخله أن لايحني الهامـــة ، ويبقـــي مرفـــوع الرأس .. وفي ساحته ، يقدم كثيرا من أنواع المساعدات المعنوية والمادية دون أن يكون أمام كل عين إصبع .. في تلقائية ، تتحرك في نفس الاتجاه الذي أرغبه .. كان الرجـــل مغرمـــاً بإضـــاءة المصابيح وجعل الليل نهارا .. شئ في طبيعته ، أن يضئ لمـــن حوله طريقهم . كمن لاينام إلا والمصابيح مضاءة .. !
والاتـــهامات التي تكيل له من خلف ظـــهره ، تحرقـــه ، فـــي محرقة محاكم التفتيش ، ألف مرة .. لكنهم – نفس الذين يرغبون في حرقه ، كانوا يستفتونه في أدق الشئون الشخصية ، ويعملون بنصائحه ، أو يرجحون رأياً على رأى قد سانده .. والرجل كمـــا خبرته ، كان يتجنب الخوض فيما وراء الطبيعة .

ولكي أخنق القلق في نفسي ، سألته أن يصرح لي بتصريح خاص حول الطعنات التي يشعر بها في ظهره ، ولا يبدو عليه أنه يتألم .. قال : (عندما تفرغ جعبتهم من سلاح المنطق والعقل – لكي يحافظوا على مصالحهم الدنيوية – يجعلون بيني وبينهم المسائل الأخروية – ويضحك ، فتظهر أسنانه العاجية – كيف حافظ عليها كل هذا العمر ، ومن خلال ما مر به من (سوء) التغذية ، في السجون والمعتقلات ، ولكنه كان ، إذا ضحك ، دمعت عيناه

وعاد شاباً .. قال : الإسلام دين الفقراء ، وقد قام على أكتاف من تحرروا من الرق .. والرق ، كان أحد أركان الثروة عند الأغنياء في الجاهلية ، وبعضهم تصدى له ، لأنه يستنفد ثرواتهم .. من نصروه ، كانوا من العبيد ، أو الأغنياء الذين اشتروا الإيمان بأموالهم فأعتقوا العبيد ، وأسهموا في عتقهم تقرباً للرسالة .. وكما كانت البرجوازية ثورة على الإقطاع ، وعصر العبودية ، فإن الإسلام مرحلة متقدمة للأديان السماوية الثلاثة .. إنه يتفق كثيراً مع العقل ، ذلك العقل ، الذي أسند إليه كثيراً من الأعمال والتصرفات . وعندما خرج من الجزيرة العربية ببداوتها ، خرج إلى حضارات فارسية وبيزنطية ، فرعونية وفينيقية ، وهذه الحضارات كانت قوية بدرجة كافية للبقاء دونه ..

إن لم يكن هذا الدين ، مقنعاً ، بدرجة كافية لأبناء هذه الحضارات ، ما كان قد صمد للفلسفات اليونانية وغيرها .. أما وقد تغلب الرعاة على الزراع ، في حركة من حركات التاريخ الإنساني. فإن الزراع ،وهم أكثر تقدماً وحضارة ، قد أثروا هذه الرسالات ، وإن لم يتبق من معتقداتهم القديمة سوى اسم (آمون) ذلك الإله الخفي،الذي كان يقود الجيوش المصرية للزراع . قديماً

، ويحدد لهم رسالتهم قبل ظهور الرسالات السماوية على يد الرعاة ، ليفتح أمامهم الشرق ويتوغل آمون في أرض سام) ، دهشت حقاً ، وأنا أفكر في كلمة (آمين) التي تقال في المعابد اليهودية ، والكنائس المسيحية ، والمساجد الإسلامية .. تلك الكلمة التي تجتمع حولها الأديان السماوية .

وكان طبيعياً ، وهو يثير دهشتي بثقافته وعمق أبحاثه ، أن استلقي داخل باحته ، فأضفى عليّ من ظلاله الساحرة الكثير .. وقدم لي ثماره الناضجة ، أتلذذ بتذوقها ، فتتفتح شهيتي لما يحتويه البستان .. كان قد حكى لي الكثير – ضمن ما يحكى الأصدقاء بلا خجل – عن فترة اعتقاله الأخيرة ، قاطعته ، وسردت أمامه مقاومتنا لهذا الاعتقال ، وكيف أدى ذلك إلى ضبطنا بجرادلنا وفرشاتنا ، ولم أذكر له كيف أفلتني جارنا النقيب ، من العقاب الذي تعرض له زملائي .. أحدهم لم يستكمل تعليمه الجامعي .. كان يستمع إلى نصف أكاذيبي ، وكنت أستمع إلى ذكرياته في فترات اعتقاله المتعددة ، التي يعتبرها فترات خصبة في حياته ، يتجدد بها كيانه . وكنت أسأل نفسي ، بعد أن اقتربت منه بدرجة كافية . ما الذي يخشونه من هذا الإنسان الضعيف؟ الذي لا يحرق مكانه . حتى إذا كان ناراً مشتعلة .. وكنت أرى وأسمع تأييده المطلق للثورة وعبد الناصر .. وإذا ما قرأت مقاله الأسبوعي ، ربما أصدق ما يشاع عنه ، وهو غير حقيقي بالفعل – بأن لقاء سرياً يعقد بينه وبين الرئيس في مكان ما .. إذ كان يعبر عن أفكار يعتنقها عبد الناصر ، ويسبقه بخطوة يسيرة .. هي خطوة (المفكر) الذي يأخذ باليد ولا يتفاخر بالمقدمة .. وازدادت دهشتي – أن يكون هذا الرجل ضمن المعتقلين الذين نكل بهم النظام في

حملة،١٩٥٩ والتي لم يطلق سراحهم منها إلا في عام ١٩٦٤ ..!
وقد جرى لهم كثير من التعذيب .. امتـــهنت كرامتـــهم ، داخــل السجون والمعتقلات ، وعانوا الكثير من عقد الضباط الكبار الذين تعمدوا تعميق الجراح في نفوسهم ، حتى ينقلبـــوا علـــى الثـــورة الوطنية ، التي كانت محاصرة (بأعدائهم جميعاً) .
يقول حسن ذهني ، في تبرير مبتكر لحالة اعتقاله غير المبررة – إذ كان في ذلك الوقت يمثل اتجاهاً يناصر ثورة يقودها الضبـــاط ويتمسك ببقائهم ، طالما كانوا وطنيين – ويقودون معاركهم ضد الاستعمار والاستغلال بكفاءة ..
(كان لابد وأن تخطئ موضع بعـــض الخطـــوات ، والأعـــداء الحقيقيون يحاصرون الثورة من كل جانب ، فتتعثر فـــي بعـــض أبنائها .. وعلى هؤلاء الأبناء ، أن يغفروا لها ، تلك الزلات ، في سبيل الهدف الأسمى والأعظم ..) ومع ذلك فقد تم اعتقال معظم القوى الوطنية واليسارية ، التي كان لديهم تصوراتهم حول التقدم .. حتى بات يخشى على الثورة . أن تفرغ الســـاحة مـــن كـــل المؤيدين لها ، فيهاجمها الطامعون ، ويعيـــدون الوطـــن مكبـــلاً بالأغلال ليدور في مجال الدول الاستعمارية ..
هكذا كانوا يختلفون ، وهم داخل السجون والمعتقـــلات .. كـــانوا محبوسين ومعذبين ويتناقشون في المسائل الوطنيـــة ، الداخليـــة والخارجية .. فينقسمون بين مؤيد ومعارض .. وكان حسن ذهني دائماً في صف الثورة . حتى وهو يعاني من أحلك الظروف التي يمر بها .. عندما أفرغ عبد الناصر الساحة مـــن الاشـــتراكيين ، ليقدم للشعب الاشتراكيـــة والميثـــاق..كأنه يريد أن يقول للعالـــم

هذه اشتراكيتي أنا ، التي تختلف ، عما هــو ســائد فــي العــالم اشتراكية ينوب الفلاحون عنها في امتلاك الأرض ، وتبني مصانع جديدة بجانب مصانع الرأسمالية الوطنية .. هـــو الـــذي ابتكــر للرأسمالية صفة جديدة .. منها الوطنية ، وغير الوطنية .. ومـــع ذلك فإن الرجعية لم ترحمه .. الرجعية كانت تقوم بتعذيبنـــا فـــي سجن القلعة ، وفي سجن أبو زعبل ، ومعتقل العزب بـــالفيوم ، وسجن قنا ، وتعزلنا بعيداً في الواحات ، مع أبناء مخلصين لـــها، على أكتافهم النسر ، يتأهب ليحلق ويفسح المكان للتاج .. أرادوا تدمير أرواحنا حتى لا تصلح فيما بعد أن تكون قربة نسقي بـــها الناس ، أو جراباً يحفظ السيوف من الصدأ .

ووصف لي الأستاذ حسن ذهني طابور العذاب الصباحي ، الـــذي كان يتطلب من كل فرد بالمعتقل ، أن يدور فيه للتفتيش عليـــه . وهو ممسك بدكة السروال القماش الخفيف ، وليـــس تحتـــه أيـــة ملابس داخلية ، إنه سروال واسع عند الخصر ، وإذا مر المعتقل المنهك ، من بين طوابير العسكر الممسكين بالعصي من الجريـــد .. يهوون بهذه العصي على أبدان المساجين العاريـــة ، فيتلقـــون الضربات على سواعدهم ، تاركين السراويل تسقط عن أبدانـــهم العارية ، فتظهر عورات رجال الفكر ، والأدب ، والفن والسياسة ، أمام رهط من العسكر والضباط .. تعلو الضحكات .. ويقهقـــه السيد مأموز سجن (أوردي ليمان) أبو زعبل ، بتلك القهقـــهات المجنونة ، التي تدل على أن هذا المأمور المعقد ، كان ينتقم مـــن الكوادر الثورية ، ويفرغها من ثباتها . ويتشفى في (جمال عبـــد الناصر) نفسه – كتب الأستاذ حسن ذهني كتاباً ، فـــي أســـاليب الثورة المضادة ، التـــي تتفنن فـــي ابتكـــار أنـــواع التعـــذيب

الوحشـــي ، ضد المتهمين في قضايا الرأي ، وأثبت ، أن معظم من قاموا بحالات التعذيب المبتكر ، كانوا يعملون ضد ثورة يوليو في الـــخفاء ، وبعضهم كــــانوا جواسيس حقيقيين ، مهمتـــهم الأساسية ، تدمير النفوس ..

فبينما كان عبد الناصر ، يقيم صرح جبهته ، الحياد الإيجابي في كــتلة، تــقف وســطاً ، بين صواريخ الشرق والغرب ، وقنابلهم الـــذرية ، أثنـــاء تواجده في مقرة بيوغسلافيا ، مع الرئيس تيتو ونـــهرو، تذهــب إليه الأنباء ، بوفاة عدد مــــن قـــادة الحركـــة الوطــــنية ،على رأسهم الأستاذ شهدي عطية . المعلم الذي تلقى تــــعليمه في إنجلترا قبل الثورة ، وحاول نقل التعليم من جيـــب الدنلوبيه إلى الرفاعيه .. إذ أن هذا المعلم . عندما مر من تحـــت أقواس العصي المشرعة ، وانهالوا عليه بشراستهم ، سقط الرجل صريعاً ، يتخبط في دمائه على أرض السجن السوداء . ونـــاصر يحــتسي القهوة ، في الفيلا المخصصة له في الدولة الاشـــتراكية المتضامنة معه .. يتقدم منه الرئيس تيتو ، ويقدم لــــه بـــــرقيات وكالات الأنباء ، التي طيرتها لصحف العالم .. فيـــأمر الرئيـــس بوقف التعذيب .. لكن التعذيب يستمر في صور أخرى ، فـــــإن القائمين على أمر هذا التعذيب ، لم يكونوا من أصحـــاب العقـــائد الثورية ، إذا مازالت الأسباب ، كفوا أياديهم .. بل كانوا مـــــن أصحاب المهام الخاصة ، مدفوعة الثمن ، تحركهم عقد التشفـــي والانتقام من جنود الثورة . يتلذذون بمشاهدة عذاب البشر ، وأي بشر .. إنهم خلاصة العقل المصري ، ومع ذلك فإن تياراً قويـــاً كان بداخل السجون يعذب ، ويؤيد الزعيم .. ويعــلن .. أنـــــه ، وطني بكل المقاييس .. إنه غيـــر مسئول عن هذا الخطأ ..

ويصـــرح : علينا أن نتمسك به ، لنعاونه على أن يتغلب على من حوله .. إنه أول حاكم مصري يحكم مصر ويتطلع إلى الأمة العربية .. لن أوافقكم على أن الثورة ،قامت بعملية خصي سياسي لكل أصحاب الفكر ، على جميع المستويات .. وكان حسن ذهني وهو يعاني من أشد الظروف التي مرت به ، قسوة وعنتـــاً .. لا يزال يرى الأمل معقوداً على الثورة لتتخطى كبوتها وتنتصر .. اسأل الأستاذ حسن .. كيف ؟ يقول : إذا ما أدركـــت مـــن هـــم الأعداء ، ومن هم الأصدقاء . زال القلق ، لقد أدى ما حدث إلى أن يتبوأ كافة مراكز القيادة في مؤسسات الأمة ، الناس (نصـــف كم) والناس (نصف لبه) ، علينا أن نعمل بكفاءة ، لنكون لـــهم المثال الذي يتخذونه .. فهم لن يقدموا لنا – (إرثهم) على طبق صيني ! لكن يمكن أن ندخلهم في مقارنات – يجريـــها الشعـــب صاحب المصلحة .. بيننا وبينهم . قلت في نفسي : فكرة خياليـــة أخرى يا أستاذ .. تنافس أحلام ماركس ، في ذوبان سلطة الدولة ، عندما يعمل كل مواطن بقدر طاقته ، ويحصل على قدر حاجته

* * *

.. أثناء اجتماع في مكتبه مع عدد من الزملاء – كان أحدهم يقدم تحليلاً مستفيضاً حول سياسات أمريكا، بعد مقتل كيندى ، وتولى الرئاسة هناك نائبه المتشدد ، جونسون . كان المحلل يقـــرأ مـــن مذكرات أمامه ، والأستاذ حسن ذهني استغرق في الإنصات إليه – وقلمه يرسم دوائر ومربعات ، وأسهماونجـــوما .. ثـــم كتـــب بالحروف الإنجليزية اسم (الجنرال إسماعيل همت) .. وعندمـــا تطلعت إلى هذا الاسم ، ونظرت إليه – هز رأسه ، وقد طـــوى الورقة وقدمها لي .. تناولتها منه ودسستها في جيبي .. رأيت أنه

يرجئ التفسير لوقت لاحق ، وبعدما فض الاجتماع ، وصرنا وحدنا ، مد يده يطلب مني الورقة التي تحمل (أفكاره) الباطنية .. قرأ الاسم .. اللواء إسماعيل همت .. وارتكز على حافة المقعد .. فعقدت ساعدي على صدري ، أنه سيتحدث وأنا أتهيأ للاستماع قال : هذا الرجل قام بالانتقام الشخصي من كوادر الحركة الوطنية ، فيما لم يفعله اعتي الأعداء ، منذ حل الاستعمار البريطاني في مصر ، حتى اتفاقية الجلاء ، وإعادة طردهم عقب عدوان ١٩٥٦ – انه الشخصية المضادة لرفاعة الطهطاوى . فقد أعاد الثورة إلى دفء البيوتات الشركسية ، التي هزمت عرابي وسلبته سيفه . وسألني : أنت تميل إلى كتابة القصص .. هل تستطيع أن تتغلغل في أعماق هذا الجنرال ، وتسبر دوافعه النفسية .. إنه الرجل الذي أشرف على تعذيب المساجين السياسيين بنفسه ، وبكثير من الاستمتاع والجلد .. رجل لا يحب الثورة ، ولا يحب قيادتها . وعمل على إفساد فسائلها الخضراء ، قبل أن تتجذر وتصير أشجاراً .. هل يمكن يا رءوف ، أن تكشف أصوله ، وأمراضه ؟ لقد كان يتلذذ وينتشي بعرينا وعوراتنا وآلامنا ، ويتجاهل المعتقلين من غير حملة الفكر ، وكلما كان المفكر يحمل لقباً علميا .. ضوعفت له جرعات الإهانات والمعاناة ، لماذا .. ؟

هاهو موضوع إذا ما تناولته بإحساس .. يضعك في مصاف المبدعين ..!

* * *

عدت إلى الإسكندرية وفي ذهني خطة للكشف عن أمراض اللواء (همت) الذي قام بتعذيب المعتقلين بصورة أزعجت قيادة الثورة .

وعزمت على إنشاء ملف أسجل به كل ما احصـــل عليــه مــن معلومات وما يعن لي من ملاحظات حول هذه الحالة .. أثنـــاء البحث والتقصي .. ظهرت أمامي حالات أخرى ، اكثر ضــراوة وكان استمتاعها بالعنف .. يخفي حالة ضعف وشذوذ جنســـي .. أطاح ببعضهم النظام ، حتى لا يتحمل انحرافهم الشديد ..

//*/*/*/*

.. الثلث الأول من شهر مايو ١٩٦٧ م ، دونت في مفكرتي كثيراً من أحداثه ، ولكني لم أرسل شيئا من تعليقاتي لرئيس القسم ..!

وفيه : تقرر فتح المساجد بالقاهرة والإسكندرية ، من بعد صلاة العشاء ، حتى منتصف الليل . ابتداء من اليوم الثاني من مايو حتى أخر شهر يوليو ، لإتاحة الفرصة أمام أكبر عدد ممكن من الطلبة الفقراء ، لاستذكار دروسهم ، مع مضاعفة الإضاءة في هذه المساجد ، وكان قد اتفق على إصدار ذلك القرار بين محافظ القاهرة سعد زايد ومحافظ الإسكندرية حمدي عاشور .. كما أن المحافظين قد اتفقا أيضا ، على تنسيق الجهود ، لمطاردة الملاك الذين يتقاضون (خلوات رجل) ، من اجل تأجير المساكن ، مبالغا فيها ، والتضييق عليهم لإبطال هذه العادة .. وكان ذلك بناء على اجتماعات المكتب التنفيذي للاتحاد الاشتراكي في القاهرة برئاسة عبد المجيد فريد ، أمين العاصمة ، والليثي عبد الناصر أمين الثغر .. وتقرر أن تقوم بعض القيادات في الاتحاد الاشتراكي ، بالإشراف على راحه الطلبة الذين سيذاكرون دروسهم في المساجد .."

وأربعة من تجار المخدرات بالإسكندرية ، وقعوا أمس في قبضة المباحث ، أحد هؤلاء التجار كان يتستر في بيع لعب الأطفال ، أمام باب مقابر العامود ، والأخر كان مشعوذاً ، يخفي المخدرات في شال العمامة ، والثالث كان يتجر في حشيش ماركة (صلي على النبي العدنان) .. أما الرابع ، فقد كان خواجة مالطيا ، يعمل كهربائيا في الإبراهيمية .

ومجلس الملاكمة العالمي ، يرفض تجريد محمد على كلاي ،

من لقبه ، كبطل للعالم للوزن الثقيل . وقال رئيس المجلس ، (لوكاس سيوتا) ، بولاية نيويورك - إن قرار كلاي برفض التجنيد ، احتجاجاً على استمرار حرب فيتنام ، لا يهم المجلس في شئ ، إذ أن المجلس لا شأن له بالشئون السياسية ، خارج المجال الرياضي ، وأيد هذا الموقف عشاق السلام العالمي .

*- اشتعال النيران في مبنى جريدة (المصير) الموالية لإحدى الدول العربية النفطية في عدن .. وهي لسان حال الجبهة الوطنية التي تناهض الجبهة الشعبية في اليمن الجنوبي ..

*- وإسرائيل عاجزة عن رد الفدائيين العرب..(ليفي أشكول) ، رئيس وزراء الحكومة الإسرائيلية ، في حديث لصحيفة معاريف .. أن إسرائيل تفكر جدياً في أن ترد على أعمال الفدائيين بالطريقة التي تناسبها . (تعليق : كلما تهيأت إسرائيل لشن عدوان على غزة ، أو جيرانها في الشرق ، أثارت الرأي العام حول الأعمال الفدائية ..!) .

*-خطاب هام للرئيس عبد الناصر في عيد العمال ، (ملحوظة : ضرورة الرجوع إلى تفاصيل الخطاب الذي ألقاه الرئيس ، أمام الحفل الذي أقامه الاتحاد الاشتراكي ، في إستاد شبرا الرياضي ، وشهد الاحتفال نواب رئيس الجمهورية ، ونواب رئيس الوزراء ، وعلى صبري ، الأمين العام للاتحاد الاشتراكي مع أمناء المحافظات ، وأعضاء مجلس الأمة والقيادات العمالية ، ومنظمة الشباب العربي الاشتراكي) .

*- حفل أضواء المدينة في التلفزيون .. وديالوج سياسي ، تشترك فيه لبلبة ، محمود شكوكو ، وسعاد مكاوي ، أحمد غانم وعمر الجيزاوي .. وعبد الحليم حافظ شعر بالتعب

والإرهاق أثناء وصلته الغنائية .. وفهد بلان ، قدم أربع أغنيات تجاوب معها الجمهور – ورقصوا مثله . رقصة الدبكة بالمناديل التي تحوم فوق الرؤوس .

وفي كتاب (لأنتوني ناتينج) وزير الدولة البريطاني السابق المعنون – درس لا نهاية له – والذي وضعه في أعقاب العدوان الثلاثي على مصر ، أظهر فيه التواطؤ بين دول العدوان .. إنجلترا وفرنسا وإسرائيل – ضد مصر ، حيث أكد أن مؤامرة العدوان ، حيكت في المقر الريفي (لمستر إيدن) ، رداً على تأميم القنال .. ومن الخطوات التي نوقشت . اختيار الحكومة من عملاء الغرب ، لتسليمهم الحكم في مصر، بعد سقوط وفرار عبد الناصر وزملائه – المتوقع – مع إرجاء عودة الملكية .إلى وقتٍ لاحق .

*– دكتور حسين بهاء الدين .. يكتب في مجلة الشباب العربي الاشتراكي ، مؤكداً بأن شباب المنظمة ، ناصري ، يؤمن بالاشتراكية ، كما يؤمن بالقومية والقيم الروحية .

وتعرض المجلة تحقيقاً ، حول الانقلاب الرجعي العسكري ، في اليونان بالتحليل ، وتعتبره إفلاساً للديموقراطية الغربية ، إذ أنه وجد دعماً من أمريكا ، ضد قوى الديموقراطية الشعبية ، والأحزاب في اليونان .. مما مكن العسكريين من السيطرة على الأوضاع في اليونان .

* * *

سجلت حول هذه الأحداث بعض الأفكار ، والتعليقات ، والتحليلات .. وفكرت في بعض الأخبار المحلية لمدينة الإسكندرية ، وفكرت أن أدفع بها إلى مكتب الإسكندرية ثم

عدت ، وفكرت في السفر إلى القاهرة .. إذ أنني اشتقــت فجــأة
للقاء (نوال فتحي) .. لكن عودة صديقي محمد خضير ، فجأة ،
من عمله بالمملكة السعودية ، أرجأ سفري - فقد كان يعمل هناك
في شركه تجاريه ، تبين بعد التعاقد معها، وإخلاء طرفـــه مــن
وزارة العمل ، أنها مجرد دكان صغير ، اتصل بي فور وصوله
.. فقلب خطة سفري رأسا على عقب .. إذ كـــان يؤكــد علـــى
ضرورة لقائي به ، لإنهاء موضوع زواجه من (بدرية) .. تلك
الفتاة اللقيطة ، التي شاهدها بين زملاء لها ، على محطة الســوق
.. تنتظر ركوب القطار الذاهب إلى (الإسكندرية) ترصدهـــا ،
وأخذ يلاحقها ، إذ انه أغرم بها .. وحاول أن يتجـــاذب مـــعها
أطراف الحديث ، لكنها كانت دائماً محاطة بزميـــلات العمـــل ..
وأخذ يجمع معلومات عنها ، من داخل شركة أيكا للحلويـــات ..
فوجد أنها من الفتيات اللقيطات ، اللاتي يعشن في دار الجمعيـــة
الخيرية بمحرم بيه .. فأزداد تعلقه بها ، وعزم على الزواج منها
.. كان قد حدثني عن جمالها الأخاذ ، وكيف كان يركب القطار ،
ويجلس بالقرب منها ، ليشاهدها ، وهى تتحدث مـــع زميلاتها -
وكيف وقع في غرامها ، من جانب واحد .. كان صاحبي محمد ،
عاطفياً ، وخياليا ، ويتجنب الواقع الحي ، وقـــد تنبأت لـــه بأنـــه
سيتزوج ، زواجا تقليديا ، من فتاه لن يتحدث معها إلا بعد عقـــد
القران .. فكان لايرى في ذلك غرابة .. وبعـــد حـــوارات بيننـــا
أقنعني بمشاهدتها ، فذهبت معه ورأيتها .. لم يكن محمد ، يغالي
في وصف جمالها الأخاذ .. إذ كانت الفتاه في اكتمال نضجـــها
وهى تخطو في عامها الواحد والعشريـــن .. كـــان أول شـــيء
أقولـــه بعد مشاهدتي لها ، تكسو ملامـــحها المتناسقة غلالـــة من

الحزن والخجل .. اقترحت عليه ، ضرورة الذهاب فوراً إلى دار الجمعية ، ولقاء المديرة المسئولة ، حتى يمكنه أن يتجاذب الحديث مع (بدرية) ، وهذا سيكون أفضل ، من مفاتحة إحدى زميلاتها ، وما يكتنف ذلك من مزالق الغيرة ، وسوء التصرف .. مادام الأمر سينتهي بالزواج ، فليذهب إلي السيدة المديرة للدار - دوغري ، وخير البر عاجله ، ولكني دعوته،أن يعيد التفكير، في كونها (لقيطة) ، وما يمكن أن يحدثه أهله من اعتراضات ، إذ كان صاحبي يعيش في بيتهم بالضاهرية ، مع والده ووالدته ، وجده ، وعدد من الأخوال وزوجاتهم ، والخالات وأزواجهن .. كان منزل الجد ، يجمع معظم (القبيلة) ، في شقته .. وكنت أخشى بعد أن يقطع الطريق ، أن تبرز له العقبات .. أكد لي محمد ، أن رغبته مؤكدة ، في الاقتران بفتاة مثلها ، وأنه فكر في الموضوع جيداً ، وعرض الفكرة على (قبيلته) ، فوجدت استحساناً من الجميع .. فهم كثرة ، ولا يريدون له ، إلا عروسه (مقطوعة من شجرة) . وتم لقاء السيدة المديرة ، وحدثناها عن (بدرية) ، ورغبة (خضير) في الاقتران بها ، طبقاً لما هو سائد من شروط .. بأن يتم بحث حالته المالية والعائلية . وعليه ، يتم اللقاء الأول بين بدرية وخضير .. وتكررت هذه اللقاءات ، لمدة ثلاثة أسابيع ، بمعدل لقاءين أسبوعياً ، بصالون الدار تحت إشراف [حماته] السيدة المديرة ، العجوز المتصابية ، في شيء من الاحتشام ، والتي قامت بعدها بصحبة العروس ، لزيارة أسرة محمد خضير في الظاهرية ، تلك القبيلة التي احتشدت من كبيرها لصغيرها،للاحتفاء بعروس ابنهم ،مع السيدة المديرة .

كان جده ، وأبوه وأمه ، يخطئون ويطلقون عليها مديرة الملجـــأ ويصحح لهم محمد هذه العبارة ، حتى لا تلتصق بلســـانهم عنـد تواجدها بينهم ، كان الاحتفاء صاخباً ، تهاني وزغاريد وكلمــات تــرحيب ، وكان خضير يخشى أن يخوضوا فيمــا لا يريـد أن يقال - والجميع سلموا على العروس والمديرة ، والنساء قبلنهما والمــديرة تصببت عرقاً ، والعروس تصببت خجلاً ، وقد ســبق آل خضير الأحداث ، واعتبروا بدرية عروس ابنهم ، فحطمـــوا ضلوعها بالضمات والأحضان ، وشفط الخدود التفاحي .
وانتــهت الزيارة على خير .. وعادت العـــروس مــع الســيدة المــديرة إلى بيت محرم بيـــه ، دون أن يعطيــا إفـــادة نهائيــة بالموافقة .. وذهب خضير ليتحرى الأمر ، طلبت منـــه الســيدة المديرة - دون أن يقتنع بذلك - أن ينتظر يومين ويتصل تليفونيا وخلال اليومين كان الكفيل السعودي - وهو المطوف الــذي لــه زوجة من الإسكندرية ، تتصل بصلة قرابـــة لإحـدى زوجـات أخوال خضير .. حضر ومعه العقد والتأشيرة ، اللذان وعد بـــهما أهله ، وطلب اصطحابه إلى السعودية في ظرف عشـــرة أيـام ، للعمل بالشركة التجارية في جدة . وإلا أضطر لاستخدام شخص آخر من أقارب زوجته . فقد حجز مكاناً لـــه علـــى البـــاخرة .. وانشغل خضير بإخلاء طرفه مـــن عمله ، وجعلني أتصل عـــدة مرات بدار محرم بيه ، لأستطلع رأي بدرية من السيدة المديرة ، حتى يمكنه ترتيب الخطوبة والسفر ، كان رد المديرة مراوغــاً ، انتهى ، بأن عليه أن يتمسك بالصبر ، ويعطيها فرصة لاستكمال التعرف عليه . أبلغتها ظروف عمله الجديد والسفر ، قالت فـــي هدوء : يذهب في رعاية الله ، وإذا كان له نصيب فيها - سنبلغه

بالمراسلة ، وعند عودته يتم عقد القران ..
أحسست بأن السيدة المديرة تسلك طريق الرفض في شيء من الكياسة .. لكن المديرة أعطتني العنوان البريدي للدار ، ليرسل لهم بعنوانه بجدة ، ليمكنهم مراسلته . وعندما أعربت لها عن قلقي، لعدم حسم هذا الموضوع ، وقطع دابره – أكدت لي في رجاء ، أنها تبذل قصارى جهدها ، مما جعلني أعتقد أن – التأخير – يأتي من بدرية .. ربما طلبت بعض الوقت لاستيعابه ، كانت مشكلتي ، كيف اقنع محمد خضير بما تطلبه السيدة المديرة في هدوء – لكن خضير ، كان ينهي إجراءات إخلاء طرفه من عمله ، والأيام تترى ، فأضطر وهو حزين أن يترك هذا الموضوع برمته ، بين يدي ويسافر.. كنت قد حضرت الوليمة في بيتهم ، ورأيت احتفاء أهله بالعروس . وكانت الفتاه جميلة بحق . وفي غاية الوداعة والرقة ، تتمتع بذلك القوام الملفوف الغض ، ولديها الشعر الذهبي والعيون العسلية ، والبشرة البيضاء ، التي تشف ، لتعبر عن انفعالاتها – كانت تبدو أنها من نسل أب جميل ، وأم اجمل ، أو أنها نتاج علاقة حب عاقتها العوائق ، ومن بين الزحام والترحيب الزائد عن الحد ، كان خضير غير متفرغ لمشاهدة ما شاهدته – فقد رأيت الفتاة قليلة الكلام ، تحاول أن تبتسم لكل من يسلم عليها ويرحب بها من أخواته ، وخالاته ، وأخواله ، وأبيه وأمه ، ورهط من الأزواج والزوجات ، في زفة من أولادهم .. إذ تم حشد جميع القاطنين في بيت الجد ، في حجرة الاستقبال ، التي حلت بها العروس .
الكل يريد أن يشاهدها ، ويلمسها ، ويرحب بها .. وكانت الفتاة تحاول ألا تبدو منزعجة ، ولكنها تتكمش وتلتصق بذراع السيدة

المديرة ، التي كانت ضئيلة الحجم ، وتنتفخ بطبقات من الملابس .. والجميع كانوا يتحدثون مع بدرية والمديرة في نفس واحد ، وبدرية لم تكن تدري على من ترد ، وإلى من تنظر .. فكانت تجفل ، عند لمسها وتقبيلها ، وكلما مر الوقت ، كانت تزداد تحرجاً وانكماشاً ، ووجهها يزداد احمرارا ، وعيناها تزدادان تألقاً ولمعاناً .. وأهل خضير كانوا يعلمون أنها لقيطة ، وتربية ملاجئ ، وكانت قلوبهم عطوفة ، وتعبيرات وجوههم صريحة . يتأملونها ويتأسون قليلاً أو كثيراً .. يضعون أيديهم على بطونهم وهم يرمقونها عن قرب ، ولا يخفون تعاطفهم الشديد معها ، وإحساسهم بأن هذه الفتاة الوديعة الجميلة ، والتي هي مشروع (هانم) ، خسارتها في بهدلة الملاجئ ، وتحكم غير الأهل في مصيرها .. وقد اعتبروها حال حديث خضير عنها - أنها عروس ابنهم ، ويريدون نقل هذا لها بشتى الطرق .. لتشعر بأنها صارت واحدة منهم .. فكانت بعض الكلمات لا معنى لها ، وعندما همت بالرحيل ، عادوا وأمطروها بفيض عطفهم وقبلاتهم ، واعتقدوا أنها خرجت من بيتهم وهي في منتهى السعادة ، وأنها ذهبت لتأتي بحقيبة ملابسها ، وورقة المأذون ، لتعود وتعيش كواحدة منهم .. وهم جميعاً سيكونون لها نعم الأهل التي حرمتها - الدنيا - منهم ..

وأخطرت - بعد سفر محمد خضير ، أن بدرية عندما رأت زحام أهل خضير ، انفجر بداخلها غضب وحقد على ظروفها الخاصة ، وهي اللقيطة التي ليس لها أحد ، تأتنس به من الأهل والأقارب . فقررت عدم الزواج من خضير .. وعدم التعرض لهذا الموقف ، الذي أحاطوها به ، إذ استشفت في عيونهم

الإشفاق عليها ، وتلك النظرات التي تقول الكثير مما يؤلمـــها ، ويجلدها ويعذبها ..
والسيدة المديرة كانت تحاول من جانبها ، علاج هـــذا الموقـف التعس – بصرف هذه الأوهام عن ذهنها ، وتطلب منـــها ســبباً معقولاً ، لتقدمه للشاب الذي أحبها ، ويعمل على الاقتران بها .. وكانت بدرية ترفض وتتعصب وتتفرد بنفســـها .. لذلـك تـأجل الزواج ، دون رفض قاطع من السيدة المديرة ..
سافر محمد خضير.. ومضى العام .. وعاد ليتسـلم عملـه فـي الإسكندرية .. ويبحث عن حقيقة أسباب رفضه منهم ، وخاصـــة وأنه أرسل الرسائل إلى السيدة المديرة – فأرسلت إليه تشكـــره ، وتـدعو له بالتوفيق في عمله ، وأن يبقي على الباب مفتوحــا ، إذا لم يكن في نيته الزواج من أخرى ، وكان متمسكاً ببدريـــة .. وهي التي بحثت حالته ، ووجدت أنه مثـال الشـاب المسـتقيم ، المحب للـحياة العائلية .. وكانت السيدة المديرة ، قد أخطرتنــي تلفونياً ، ربما قبل حضور خضــير بشــهر واحـد ، أن بدريــة (عقلت) المــوضوع ، وفهمت أن ما حدث لم يكـــن مقصــوداً ، ويمكنه إذا مــا حضر إلى الإسكندرية ، مباشرة إجراءات الخطبة والزواج .. فأرسلت إليه كتاباً ، أزف له هذا الخبر .
لذلك ، فإنه منذ أن وطأت قدمه الإسكندرية ، اتصل بــي متلــهفاً للقائي .. تواعدنا على اللقاء ، في مقهى (زاجوتا) ببـــاكوس ..
وذهبت إليه فوجدته ينتظر . كدنا ونحن نندفع ونتعانق بين زحام الرواد ، أن نقلب بعض المقاعد والموائد ، جلسنا قليلا .. وأخذت أستمع منه إلى ما لم يرد في خطاباته .. رأيه الحقيقي في عبودية الكفيل ، في ضاحية صحراوية ، وإحساسه بتضافر ألـم الإحباط

الذي صاحبه وشقاء الاغتراب ، الذي يمضه ويعذبـــه . وكيــف استقبـــل رسالتي ، وروحـــه كـــانت في الحلقوم ، فإذا بها على حد تعبيره – تأتي بيسر ، بعد عسر .. برداً وسلاماً ، على بـــدن أشعلت فيه بدرية النار من الداخل ، وأشعلت فيه الصحراء نارها من الخارج ..

وعندما عرضت عليه الأسباب ، التي كمنت وراء تعطل خطبتـــه .. سألني في حيرة : لماذا لا تعتبر عـــائلتي ، هـــي عائلتـــها ؟ وتمنحني الفرصة لأعوضها عن معاناتها ؟

هـــززت رأســـي ، وكتفي ولم أجب .. فقـــد كنـــت أود لـــهذه التجربة ، أن تنجح ، وأن ينجب خضير من بدرية ، نصف دستة من الأولاد والبنات ، وأزورهما فأجدهـــا (محتاســـة) بينـــهم . وغارقة إلى أذنيها في (مشاكلهم) حتى يمكن أن أعيد بحث هذه الحالة من جديد أمامها ، وأضع يدي على أحاسيسها الفعلية – تلك الأحاسيس التي لا يمكن أن نفصح عنها ، مادامت الحالـــة غـــير مستقرة تماماً .. !

/*/*/*/*/*

(٦)

لم يصبر خضير على حلول الموعد الذي حصل عليه في التليفون مع السيدة المديرة ، كان قلقاً ويريد أن يطمئن على الاتفاق الرسمي - كما أنه آل على نفسه ، في تعهد أمام المديرة ، بأنه لن يحاول مقابلة بدرية ، خارج الدار، إلا إذا كانت المديرة على علم بذلك ، فأعطى وعداً . والتزم به - لذلك لم يفكر في الذهاب إلى محطة القطار . أو باب المصنع . ليشاهد بدرية . ويتحدث معها .. حتى بعد زوال أسباب رفضها .. وكان يسعده حرص المديرة ، لأنها تفعل ذلك ، كأم لها ، تريد الحفاظ على ابنتها حتى تسلمها له (صاغ سليم) . كان خضير برغم الشكوى من العمل في السعودية ، قد ادخر مبلغاً مناسباً ، لم يكن ليدخره في عمله بالإسكندرية خلال خمسة أعوام .. وكان يتعجل الاقتران .

وفي الطريق إلى دار محرم بيه - كان خضير يتلهف على رؤية عروسه . يقول : لو تعلم بدرية ، كمّ حاجتي إليها لتُسبغ شيئاً من عطفها عليّ ، وكيف أشعر نحوها بالحب الشديد .. ما كان اجتاحها هذا الإحساس المتناقض مع الواقع ، وانطلق في معزوفة عاطفية وعيناه مبللتان . وجدت نفسي أصيح فيه : لا يا خضير أنت في حاجه إلى درس في الغرام.. يجب أن أعلمك كيف تخفي مشاعرك الحقيقية ، وإلا ساقت عليك الدلال ، و..

قال همساً في أذني ونحن في سيارة التاكسي :- إذا أردت الحصول على درس في الغرام .. سأذهب لمن لديهم قلب يفيض بالحب الصادق ، لن أذهب إلى أصحاب القلوب الموصدة على الأكاذيب، والتي يفرشونها لتصطاد لهم الفراشات الجميلة . نظرت إليه متسائلا : ماذا تقصد بذلك ؟

فغمغم دون أن يلتفت نحوي : نوال فتحي .. ومرجريت المراسلة الإنــجليزية ، وقطـــار النوم والأكل في رحلة أسوان .. لعلــــك نســـيت أنك أخبرتني بتفاصيل مغامراتك ... بدرية ليست مغامرة ، بل شيئاً آخر أنت لم تفكر فيه بعد .

آثرت أن أطوي الاحتجاج ، والتاكسي يتوقف أمام الدار ..

استقـــبلتنا السيدة المديرة في مكتبها فـــي ترحـــاب .. وخصــت خضير بكثير من الاهتمام ، استبشرت خيراً . كما أن خضـــير ، هدأ وألقي بنفسه في حضن الفوتيه يتنهد في ارتياح .. ضغطـــت المديرة على زر ، فجاءت سيدة مسنة تقوم بالخدمة . (تشربـــوا حاجه الأول) . قال خضير (أشوف بدرية الأول) . ضحكـــت السيدة المديرة ، وقالت : سترى بدرية داخله بالمشروب طبقـــاً للأصول والعادات. قال : أشرب كازوزة ، عاد وقال : أشـــرب شاي . تلفت نحوي ، وسأل نفسه : الشاي يأخرها ، استدار نحـــو السيدة وقال : أي شئ يجعلها تأتي على الفور .. قـــالت الســيدة المديرة للخادم : استعجليها يا أم حنفي .. ودس خضير يده فـــي جـــيبه ، والتقط ورقة نقدية فئة العشرة جنيهات .. ثناها ، وجعلها بيـــده ، ليضعها في الصينية ، كما يفعل الخطاب ، إذا ما حـــدث القبول . قلت له : يجب أن تستشير السيدة المديرة فـــي مســألة وضع النقود في الصينية ، وإلا تعرضنا لموقف جديد ، من ردود الأفعال غير المتوقعة .. أخفى ورقة النقود في كفه ، وهمس في أذني أن أفاتحها أنا ، حتى يمكنه جمع شتات نفســـه . عرضـت عليها الفكرة ، ضحكت وقالت : (لا بأس .. مادام هذا يحدث في البيوت .. هنا أيضا بيت العروس ..) . ارتحت ، إذ شعرت أنها علـــى علم بتطورات عواطف بدرية ، وقرارها النهائـــي ، وبعد

قليل دخلت بــدرية ، وفــي ذيلها أم حنفي تحمل صينية ، فوقها فناجيل الشاي ، لم تفاجأ بوجود خضير ، وتحديد مكانه ، وكأنــها كانت تراقبه من مكان ما .. وتعمدت أن ترحــب بــي أكــثر . ففهمت أنها بــدأت تمــارس حركات الزوجات ، فــي تجــاهل الأزواج عن عمد ، مع وضعهم في بؤرة الشعور والاهتمــام .. كانت ترتدي ثوباً أزرق فاتحاً ، محلى بغصن من الورود الحمراء على الجانب الأيسر ، يبدأ من الصدر حتى الذيل ، وكانت تشــد خصرها بحزام رقيق من الجلد الأحمر .. والثوب كان لا يتجاوز الركبة ، فافصح عن ساقين متناسقين مع بدنها البض ، وكانت قد رفعت شعرها من الخلف ، وأسقطته على جبهتها ، فمنحها قليــل من الطــول ، فــبدت نحيفة نوعاً ، عن آخر مرة رأيتها فيها .. وكانت عيناها متألقتين . ناولت خضير فنجان الشاي وتحته الطبق .. وناولتني فنجاناً .. ثم استدارت ووضعت فنجان المديرة علــى طرف المكتب .. كانت المديرة تتابعها في إحساس بالزهو بــها ، تتابع توافقها مع كل حركة أتت بها ، طبقاً للمطلــوب . المديــرة قامت من خلف المكتب ، وجلست على المقعــد المواجــه لنــا ، وربتت على سطح المقعد المجاور لها ، تنظر إلى بدريــة فــي ابتسامة مغلقة الشفتين ، فتحركت بدرية ، فبدت بالحذاء ذى الكعب العالي كأنها تــُحلق ، وعندما جلست ، وانحسر ذيــل الفســتان مسافة فوق الركــبتين ، اختلج فنــجان الشــاي بيــن يــدي خضــير ، فأحــدث اصطكاكــاً مــع الطبق ، فبادر ووضعــه على طرف الترابيزة القريبة منه . كنــت أنظر في عيني بدرية ، وكأني أشاهد جزءاً من مشهد تمثــيلي أريــد تفسيره ، وعندمــا

هبطت إلى صدرها ثم ساقيها ، رأيت أنها قد وضعت ساقا فـــوق ساق ، وأخذت تهز قدميها هزات خفيفة عصبية .. بينما الســـيدة المـــديرة تريد تحذيرها لإتيانها حركة لم يتفـــق عليـــها .. كـــان الثـــوب القصير ، لا يغطي عمق الفخذ ، الذي كان في مواجهتي .. وصارت جلستي المواجهة لها محرجة لي ، إذ أنـــــها كـــانت مشغولة بالنظر نحو خضير ، في شئ من الاشتياق الذي تتجاهله ، قمت في هدوء ، ومعي فنجاني ، وجلست في المقعد المجـــاور لبدرية . فصار خضير وحده الذي يواجهنا .. بينما كنـــت أقـــوم بإزجاء كلمات الترحيب بالعروس والسيدة المديـــرة كوســـيط .. وصلت خضير حركتي ، متأخرة .. خاصة عندما انتبه إلى عرى ساقيها ، ورسم على وجهه تلك التعبيرات التي تفصح عن ثقتـــه العمياء في صديق العمر .. غمزت له بعيني فوصلـــه الـــرد .. إبـــعد عـــن الشر وغني له . أنا المتهم منك بأني تلميذ الشيطان ، لابـــد وأن تكون علاقتي ببدريتك محســـوبة ، حتـــى لا تحـــدث قطيعة العمر ، بعد صداقة العمر . ثم أخـــذت الســـيدة المديـــرة تتحدث عن معرض الرسومات المعلقة لوحاته في مدخل الدار .. وتؤكد أن اللوحات من ابتكار بناتها وغير منقولة .. ثـــم وقفـــت واقتربت مني ، أمسكت بذراعي تطلب (بصنعة لطافـــه) ، أن نذهب أنا وهي لرؤية هذه اللوحات الجميلة خـــالص .. لتســـتطلع رأيي فيها .. ورأيت أن محمد خضير يهم بأن يقوم معنا ، لكـــن المديرة استدارت إليه بحجمها الدقـــيق ، وقـــالت لـــه : الأســـتاذ رءوف بصـــفته صحفي ، سيشاهد المعرض ، ويقول لي رأيـــه في اللوحات .. أما أنت ، فهي فرصة تجلس قليلاً مع خطيبتك . لقد أصبحنا أنا والأستاذ رءوف،من العوازل. أخيراً ، فهم الحركة

وهمد .. إنها تتركهما ليختليا ببعضهما وليتبادلا أطـراف الحديث ، في هذه المرحلة التي تكتنفها الأحاديث الشيقة ، التي نكتشـف فيما بعد ، إنها كانت أحاديث غـير ذات معنـي ، أو مضمـون ولكنها كانت تسحر الألباب ..

كانـت أم حنفي عند الباب ، ورأيت طرفا من الرسالة الصامتـة التي تراسلت بين الوجهين العجوزين .. لتتنبه وتتدخل في الوقت المناسب .. يا سيدتي ، محمد خضير ، اضمنه اكثر من نفسي .. أنـه لن يتعدى خط الأخلاق ، ويدخل في حدود بدرية .. حتـى إذا عقدت معه وحده لا يغلبها غلاب .

عندما عدنا ، قامت السيدة المديرة ، بعد همسات مـع بدريـة .. بالاتفاق على موعد عقد القران ، والاتفاق على الجهاز ، والمهر والمساهمات التي يمكن أن تقدمها الدار .. ومـا يسـجل باسـم العروس .. حتى اللقاءات التي ستتم بين العروسين ، من هنا إلى ليلة الزفاف ، وانتقالها إلى عصمته .. وعندما كان يوافق محمـد خضير على شرط اثر شرط .. ختمت السيدة المديرة كلامـها .. بأن هذا يعتبر اتفاقـا مبدئيا .. ويجب أن يأتي الوالد والجد وأحد الأخوال على الأقل ، لإقراره ، والتوقيع على (محضر) بذلك ، يحفظ في مكتبها ... ووافق خضير .. فزغردت أم حنفي .. وإذا بخضير يقوم ويمسك بيد بدرية ويقبل ظـهرها .. فتميـل هـي برأسها وتقبل يده ..وتجمعت الدموع في عيني .

* * *

فرحة خضـير كانت طاغية ، فحملتني على جناحـها معـه .. أصر أن يشرب كل منا زجاجة بيرة ، احتفـالا بـهذه المناسـبة السعيـدة ، التـي قضت على مخاوفه وأرقه .. شرب كل مـنا

ثلاث زجاجات .. وكان يقبل ظهر يده من حين لآخر ، ويتحسس مكان شفتيها . البيرة لطشته ، فأخذ يهذي بأبيات مـــن الشعـــر ، ادعى أنه مؤلفها ، ومعظمها لصلاح عبد الصبور . وكلما كـــان يتــحدث عن بدرية – كنت أستحضر نوال فتحي ، وأسربل عليها ثوباً من الحرير الشفيف ، وألقي بها على المخدع المستدير، فـــي حجرة نوم وردية ، ليس لها وجود ، إلا في خيالي . وربما أكون قد شاهدت مثلها ، في فيلم ســـينمائي أمريكـــي مبـــهر ، بطلتـــه (مارلين مونرو) .. اكاد أشم رائحة عطرها ، الذي كان في اللقاء الأخير .. عندما كف بيننا الحديث وتلامسنا .. وانجذب كل منـــا ملتصقا بالأخر .. في غيبوبة الوجد – بحدودها المحسوبة بدقة .. حتى لا أتورط .. كما أنها كانت لا تعطى اكثر من المطلـــوب .. كانت بيننا هذه الأكاذيب ، عن المخرج السينمائي ، وكانت هي قد اقتربت مني لذلك السبب .. لكن فيما بعد ، نسيت هذه الأكـــاذيب .. وبدا لي أنها هي الأخرى تناست .. لكـــن القـــدر المحســـوب المتبادل بيننا كان يضعنا – إذا ما تواجدنا –على أول الطريق .. فأفقد عمق العلاقة ، ولاتصل إلى بيت المستقبل . افتقـــد بذلـــك الخيال الجميل – عندما ترى نفسك في البيجاما ، وبيدك صحيفة . وتجلس في بيتك بعد انصراف أطفالك ، إلى المدرسة ، وتخطـــر هي في ثوب المنزل .. تقدم لك فنجان القهوة ، وتـــدردش فـــي أخبار الجيران ، ومطالب الحياة المقدور عليها .. !

قال خضير ونحن نهبط من التاكسي أمـــام صيدليـــة الأنســـانيه بباكوس : – من الضروري أن تكون معي غداً .

قلت له في حزم : باكر ، أنا في القاهرة .. اعتمد على نفسك ، يا أخي . هل اشتريتني ؟

بدا كمن فقد شيئاً عزيزاً . وقال :
- هل من الضروري أن تكون غداً في القاهرة .. ألا يمكن تأجيل سفرك يوماً ؟
قلت في إصرار : ضـــروري يا خضير .. شغلي يا أخي .. هل أترك شغلي ، وأقعد لك إنت والآنسة بدرية بتاعتك ..
قال بتلك النبرة ، التي لا أستطيع مقاومتها ..
- غداً .. عقد القران .. وقد اختارتك السيدة المديـــرة .. شـــاهداً على العقد ..
حسبت الحسبة ، وجدت أنه يمكن تأجيل السفر إلى ١٠ مـــايو .. أطرقت ، وسلمت له ، فاحتضنني وأخذ يهيل على رأسي ، كومة من التفاصيل والعقد الصغيرة ، التي تحتاج إلى حلول عاجلة ..
في حفل عقد القران ، كنت أتابع ما يحدث على الوجوه ، ووجـــه نوال فتحي لا يفارق خيالي .. كانت سفرتي إلى القاهرة ، يسيطر عليها لقائي بها .. أن أمضي بعض الوقت معها .. وبالفعل كنت في الديزل ، أحاول أن أضعها في غرفة نوم بيت الزوجية ، وأجعلها تتحرك بين المطبخ ، والصالة ، وحجرة الأولاد ..

* * * *

في لقائي مع نوال في صالة التحرير .. المكاتب متراصة علـــى الطريقة الأمريكية ، بدون حواجز .
كان لابد وأن نتحدث حـــول العمـــل ، وعيـــون وآذان الزمـــلاء تترصدنا .. خطة ٦٧/٦٨ للمسرح . كان الهدف أن نبقـــى معـــاً فترة ، حتى تهدأ الأحوال حولنا ، ويمكنها أن تتصرف معي ..
(مـــسرحية . كـــاتب يـــاسين ، تـــرجمـــة - إدوار خـــراط

الأسلاف يتميزون غيظا - لألفريد فـرج ، مسـرحية النفـق - لرؤف مسعد ، مسرحية بلاد برة - لنعمان عاشور ، مسـرحية العالـم الآخر - ليوسف إدريس ، مسرحية ليـالي الحصـاد - لمـحمود دياب ، مـسرحية مأسـاة الحـلاج - لصـلاح عبـد الصبور ، مسرحية لويس التاسع - لعبد الرحمـن الشرقـاوى ، مسرحية الإنسان والظل - لمصطفى محمود ، مسرحية الأرنـب الأسود ، والمرأة التي تكلم نفسها - لعبد الله الطوخي ..

وأبلغتني أن سعد الدين وهبه ، تسلم عملـه أمـس ، كمسـتشار لمؤسسة الطباعة والنشر) .

وانصرف عنا الزملاء ، فنحن نتحدث في مواد صحفية .. كـان بعضهم ينسج حولها سياجه ، ويعتبر اللقاء بها عندهم ، عـدوانا على أملاكهم المقدسة ، وطبيعة نـوال ، أن لا تكسـر بخـاطر مصادرها الإخبارية ..

قالت : وحشتني ..

قلت لها : عشرة أيام ، لم تتصلي بالتليفون .. أنا قلقت خالتك .. التليفون لا يتاح لي إلا بالنهار ، وأنـا لا أريـد إزعـاجك بعـد منتصف الليل ..

قالت : عملت طيب .. ! ولكنها أكـدت بأنـها اتصلت بي مرتين .. مرة ، كان الخط مشغولا ، وفي المـرة الثانية ، ردت أمـي ، أبلغتها أن تخطرنى .. بأن الجورنال اتصل . ربما أبلغتني أمي بهذا الاتصال ، فأعتقدت أنه رئيس القسم ، يستعجل المواضيع ... كانت مشغولة بكتابة تحقيق حول الموسم المسرحي ، وأبلغتنـي بحفل تقيمه الفنانة (ماجدة الصباحي) ، بمناسبة تأسيس شركـة للإنتاج السينمائي .. كان موعد الحفل بعد يومـين .. وكـنت قد

كلفت بتغطية لقاء يقيمه عبد الحميد السـراج ، رئيس مؤسسة التأمين .. سيلقي فيه محاضرة في مقر الاتحاد الاشتراكي ، بالإسكندرية ، حول خطة التنمية ، المحافظ حمدي عاشور ، والأمين الليثي عبد الناصر سيحضران هذا اللقاء ، مع قيادات العمال ، والشباب ، وأعضاء المكاتب التنفيذية .. فاعتذرت عن بقائي لحضور حفل الفنانة ماجدة .

أخذت تهز رأسها في صمت ، ولكنها بقيت تنتظر تعديلاً سريعاً لخططي .. أمسكت بيدها ، وأخذت أضغط عليها . قالت دون أن تنظر نحوي : هل حدثت المخرج العائد من أمريكا ، عني .

خشيت أن تكون قد اكتشفت كذبتي ، وهي الصحفية الفنية ، قلت لها : لن أقول شيئاً إلا إذا اتفقنا على لقاء نجلس فيه براحتنا.

سألت : كازينو ؟

قلت : أقول لك . نجلس فيه براحتنا ، تقولي كازينو .. !

قالت : أنا لا اذهب إلى الأماكن الخاصة .. اختر أنت مكاناً عاماً

قلت : أنا سأذهب معك إلى أي مكان ، ولا أخشى أن تزفيني حاجة صفراء .. ضحكت ، وكأن خطر لها خاطر أثناء الضحك فتوقفت فجأة عنه وقالت : انتظر مني تليفون في مكتبكم .. لا تترك الجورنال قبل الاتصال بك ..

* * *

... دبرت المكان ، وذهبت بي إلى شقة فنانة مسرحية ، شبه مغمورة .. كانت قد تألقت في لعب دور ثان في مسرحية واحدة بالمسرح القومي .. ثم جلست على دكة الاحتياطي ، في انتظار فرصتها الثانية ، أحضرت لي كاميرا ، لألتقط بها بعض الصور المطلوبة ، وهي تقوم بعمل (الروبرتاج) مع الفنانة كما

وعدتها – كانت تعلم أن الفنانة لن تنتهي من المســرح ، إلافــي ساعة متأخرة من الليل ، إذ كان لها دور صغير تؤديه في نهاية الفصــل الثالــث .. ذهبنــــا إلـــى شقتـــها فـــي العـــاشرة ، واستــقبلتنا (الدادة) التي تقيم مع الفنانة في الشقة ، تلك الشقة ، التي خلفها لـــها الزوج الثالث .. قامت نوال ، بـــإجراء اتصـــال تليفوني مع الممثلة بالمسرح ، واعطت السماعة لعديلــة .. كـــان صوت التيلفون واضحا ، وهي تأمرها بأن تعمل معنا الواجــب ، وتتمسك بنـــا حتى حضورها .. ونوال أبلغتها أن يؤجل هذا لوقت لاحق .. لكـــنها عندما علمت بأن بصحبتــــها مصـــوراً. كـــانت ترجوها أن تبـــقي قليلا لحين حضورها .. والبيت ، بيتكم .. كان أمامنا ساعتان على الأقل ، انشغلت عديلة في قضاء أعمالها ، بعد أن قدمت لنا العشاء ، وما توفر من مشروبات ، وكنا على راحتنا في الصالة .. والفرانـــــدة ، وأمامنــــا ثــــلاث غـــرف .. وأدرت الاسطوانة القديمة ، بأن المخرج ، قد ينتهي قريباً ، من الحصول على (قرض) المؤسسة ، وسيقوم على الفور ، بإجراء اختبار لها .. وأضفت : أنه من المخرجين الموهوبين ، إذ أنه لا يريد مـــــن الممثل ، إلا أن تكون لديه الرغبة في النجومية ، ويترك له نفسه. ليصنع منه نجماً في سماء الفن ، وأنه عندما رأى صورتك التـــي معي يا نـــوال ، رأيت الإعـــجاب يشع مـــن عيـــنيه .. ولكنـــه لم يفصح عن ذلك ، مستخدماً حنكة التجار.. لكني حصلت منــــه على موعد لك ، يا نوال ، سيراك فـــي أول يونيـــو .. لا أدري لماذا حددت الموعد ، كانت قد أولتني ظهرها ، وأراحت جسدها على صدري ، وكنت أطوقها بذراعي .. عندما كفت الست عديلة في سحب جرمها الهائل ، واقتحام خلوتنا .. لتقـــديم الاعتذارات

عن تأخر سيدتها ، مع تقديم بعض أطباق الحلوى ، نتسلى بها في
هذا الانتظار .. استدارت نوال ، ومنحتني بعض القبلات ، تعبر
بها عن امتنانها ، واحدة منهما كانت (شبقية) ، شعـــرت بـــها
فاستجبت معها ، وعندما حاولت .. أجفلت وتعللت بظهور عديلة
المفاجئ أمامنا ، لإشعارنا بأننا محل اهتمام .. وعديلة تبتسم فـــي
وجوهنا ، ابتسامة الخبيرة ، التي تدرك نزق الشباب واندفاعه ..
.. وجدت نفسي أحكي لها كل شئ عن بدرية ، ومحمد خضير ..
صنعت من حكاية زواجهما ، سيناريو شيقاً .. كنت أقصه . لقطة
– لقطة .. الفن هو الذي صرفني عما يجول بخاطري ، ويسيطر
على وجودي معها ..
رأيت الدموع تترقرق في عينيها . كففت عن الحديث ، ونظـــرت
إليها متسائلاً .. هل صنعت سيناريو لدراما زاعقـــة ، ليخرجـــها
حسن الإمام ؟
هزت رأسها بغباء ، وهي تكفكف دموعها بمنديل صغير .. قلت:
– هل تأثرت ، بأن البطلة لقيطة ؟
قالت : بالتأكيد ، أنت لا تعلم أنني فقدت أبي وأمي ، علـــى أثـــر
حادث أليم وأنا طفلة ، ونشأت في بيوت الأقارب .. ربمـــا كـــان
الملجأ أرحم أحياناً .. إنني أحمل نفس إحساس بدرية .. أتحـــدى
الإشفاق ، وأريد إثبات ذاتي بك السبل ..
.. كانت بدرية تضع ساقاً على ساق . وتـــهز قدمـــها ، هـــزات
عصبية .. وكان الثوب ينحصر عن فخذها الوضاء ،.. لم تكـــن
نوال في براءه بدرية .. ولكنها كانت مثيرة ، وهي تملك تقسيمات
بدن بريجيت بادرو.. تلك النحافة المغرية التـــي أزاحـــت أنوثـــة
الهوانم ، ومقاييس جمال الأربعينيات والخمسينات.عنـــدما كـــانت

المرأة بضة ، ذات مقعدة عريضة عاليـــة .. وجـدت نفســي لا أسيطر على رغبتي في احتضانها .. ووقفت أمامـــها ، ودفنـت رأسها في صدري وهمست في أذنها ..

– نوال هل فكرت في الزواج ..؟

رفعت رأسها نحو وجهي .. كانت لاتزال عيناها مبللتين بالدموع وقالت :

– هل استوحيت السيناريو من حياتي أم من حياة بدرية يا رؤوف .

كنت لا أعلم الكثير عن نشأتها يتيمة .. ومع ذلك قلت لــها فــي إصرار :

– من حياتك أنت يا نوال .. طبعاً من حياتك .. التي قربتني منك ووضعتك بداخلي .

أغمضت عينيها ، وسلمتني شفتيها دون حــرص ، مــن دخــول عديلة المفاجئ ، وللحظة تخيلت أنني أقبل بدرية .. ومــع ذلــك كنت شغوفاً ، بدفء نوال ، ورحيقها ..

/*/*/*/*/*

(٧)

.. مقتل ٧٠٠ جندي أمريكي في فيتنام . وهوشي منه ، يهدي وسام الاستقلال من الدرجة الأولى للشعب والقوات المسلحة الفيتنامية في هايفونج ، تقديراً لبطولتهما في إسقاط ٢٣ طائرة أمريكية حديثة ، خلال الأسبوع الأخير .. "

ذهبت للقاء الأستاذ حسن ذهني ، ولكنني لم أجده في بيته ، كما أنه لم يحضر إلى مكتبه في الجورنال ، تركت له رسالة بالباب ، أبلغته فيها تحياتي ، وانصرفت .. خطر لي أن أذهب إلى شبرا لألتقي بالطبيب (محيى الدين) خطيب جيلان ابنته .. كنت أريد أن أقترب أكثر من هذا الطبيب الإنسان ، والذي تقابلت معه في مقابلات قليلة وقصيرة بالصدفة ، فترك في نفسي انطباعاً مريحاً ، كنموذجا للقدوة ، فكرت أن أتخذ منه (موضوعاً) . ذهبت إلى حي شبرا ، عندما لم أجد شيئاً آخر أفعله .. وأنا في السيارة . كان يشغل ذهني ، ما قاله الفيلسوف والمؤرخ البريطاني توينبي في مؤتمره الصحفي ، بأن الولايات المتحدة الأمريكية ما هي إلا (كلب في فمه عظمة لذيذة) عندما يقترب منه كلب آخر ، يبدأ في التعصب والزمجرة .. وأن أمريكا تهدد العالم بمؤامرة شيوعية دولية ، منذ زمن طويل ، وتقيس علاقاتها ، بمن معها ومن عليها ، في إنقسامات كريهة ، تشيع النفاق في العالم .. وهى التي تبث الرعب في قلب العالم الرأسمالي ، فتفقد البشرية استمتاعها بالحياة ، لتبقى هي الكلب الذي يمصمص العظمة اللذيذة ، وحده ، ولا يعطي أحدهم لحسة واحدة .. ! "

في الحي الشعبي ، وقفت أمام البيت القديم ، وشاهدت زحام المرضى الفقراء ، داخل العيادة ، تمكنت من لقاء خاطف ، مع

الــدكتور محيي الديــن كامــل .. كان يعمل في همــة ونشاط ..يشيع حوله كثير من الحيوية والاستمتاع .. لم يستغرق اللقـــاء سوى بضع دقائق ، إذ رأيته مشغول ، أعرب لي عـــن امتنانــه بالزيارة ، وأنه كان يود أن يتفرغ لي .. لكن العيـــادة تســتغرقه حتى ساعة متأخرة من الليل .. كنت أرغب في (الدردشة) معه ، وكان هذا يتطلب مني الانتظار إلى ما بعد العاشرة مساءً ، ألح عليَّ في الانتظار ليتفرغ لي ، فشكرته ، وأرجأت ذلك إلى وقت آخر . وعلمت منه أن الأستاذ حسن ذهني - سافر إلى روســيا ، في مهمة صحفية ، مع وفد مجلس الأمة ، برئاسة محمــد أنــور السادات ، وأنهم اختاروه في آخر لحظة .. عندما تقرر أن يزور الوفد معرض ترنياكوف للفنون . ومناطق إنشاء البيوت الجاهزة . وكان الأستاذ حسن ذهني ، قد كتب مقالات عن تجربة مهندس مصري ، في بناء قـــرى ، تبنـــى بيوتـــها بخامـــات محليـــة ، وتصميمات تراعي مناخ المناطق الصحراوية .. ومن خلال هذه المقالات ، كان يهاجم استيراد ، البيوت الخشبية الجاهزة . مـــن الاتحاد السوفيتي ، أو تصنيعها في مصر ، مبرراً ذلــك ، بعــدم وجود مصادر محلية للأخشاب ، كالغابات ، مبرزاً فارق التكلفــة في الحالتين .. وعلى ذلك ، وقع اختيارهم عليـــه لزيـــارة هـــذه المصانع ، وفي ذهني ، أنهم اختـــاروه فـــي الوفـــد .. لتاريخـــه المعروف ، وإضفاء صبغة معينة على الوفد .. كما أننـــي كنـــت أعلم بأن جيلان هناك ، فهو قد يلتقي بابنته فـــي هـــذه المهمـــة الصحفية السياسية . عدت إلى الجورنال ، وأطلعت على الأخبار .. كانت أخباراً عاديـــة ، همفري - متفائل بشأن مستقبل الرئيس الأمريكي جونسون ، وفوزه في انتخابات الرئاسة القادمة ، وكان

جونسون ، قد حل مكان الرئيس كيندي ، الـــذي اغتيــل رميــا بالرصاص ، ولم يمر بالعملية الانتخابية ، وقد تأثرت سمعته على إثر توالي هزائم الجيش الأمريكي في فيتنـــام .. والعميــد علـــى زيوار ، يفتح النار بصراحته المعهودة ، إذ لم يكن أحد يتوقع أن يخرج النادي الأهلي ، صفر اليدين من موسم الكرة هذا العــام . بعد أن أنهى الدور الأول ، دون أن تلحقه هزيمة واحدة ، ويقول : وقعت الكارثة ، وتقدم الإسماعيلي على الأهلي ، بفارق نقطتين ، ثم صار الفارق سبع نقاط ، وصارت فرصة الإسماعيلي أكــبر بكثير من الأهلي ، في الفوز بدرع الدوري العام .

والمرتزقة المبعدين من الكونغو ، يحاربون إلى جـــانب القبـــائل اليمنية ، ضد الجمهوريين في جبال اليمن ، المعضدين بـــالجيش المصري ، وراسك يناشد عبد الناصر ليسعى مســـتخدماً نفــوذه السياسي ، لإطلاق سراح المتـــهمين بالتجســس فـــي اليمـــن .. ومحاكمة ٢١ من مروجي الإشاعات ، بالقاهرة والإسكندرية ، إذ أنهم أشاعوا بأن الدولة ، تجبر التلاميذ الصــغار ، على التـــبرع بالدم ، لما يلاقيه المحاربين في اليمن من اســتنزاف لدمائـــهم .. واقتراح بإعفاء الفنانين من الضرائب . وأن يــسرى ذلك علـــى الكتاب والأدباء .. ويوسف وهبي ، يستعد ليقوم بـــجولة مسرحية ثانية ، في المحافظات ، لإعادة عرض مسرحية (بنات الريف) و (بيومي أفندي) ، وتشومبي ، يحلم بالعودة إلى الكونغو .

والرئيس يكشف في عيد العمال ، مؤامرات أمريكا ضد الثورة ، ويكشف عن مجموعة من التسجيلات ، للمخابرات العربية ، حيث قامت بتسجيل أحاديث لأفراد في المخابرات الأمريكية ، يســـتدل منها .. حشدهم لعناصر الثورة المضادة في الداخل .. ويقــول :

لست مستعداً لبيع حبة رمل ، من هذا البلد ولو بمائة مليون دولار . !

وأثناء عودتي في الديزل ، من الإسكندرية .. كان معي عدد من الصحف والمجلات .. أخذت أتصفحها ، وعقلي يعمل في اقتناص موضوعات ، أو تعليقات .. كنت منهمكاً ، وأمضيت جزءاً من الليل مع نوال فتحي .. : عندما عرضت عليها توصيلها ..

أشارت إلى كوبري أبو العلا ، وقالت : هذا الكوبري يفصل بين الشقة الحقيقية التي أقيم فيها هناك في بولاق .. والشقة الخيال التي أعيش فيها في الزمالك .. ! !

فأخذت أحدثها عن الشقة الخواجاتي ، التي حصلنا عليها في ضربة حظ .. إذ كان (ثابت أفندي) يجلس في إحدى الاجتماعات شبه السياسية ، عندما صرح أمين القسم ، بوجود ثلاث شقق تحت الحراسة . فرفع ثابت أفندي يده ، وحصل على واحدة ، وأخذت أبين لها الفرق بين الشقتين والموقعين .. وكيف أنني أعيش مثلها ، موزعاً بين مكانين ، ومكانتين .. إحداهما حقيقية والأخرى خيالية .. كانت نوال فتحي أمام تمثيلي المتقن ، قد ضعفت وهي في أحضاني .. وصار الطريق مفتوحاً إلى عاصمتها ، بل ومشجعاً ، أن اسقط استحكاماتها ، وأرفع رايتي عليها.. وإذا بتربيتي في أصول السيدة رئيفة - تقف حائلا بين الذئب الذي أطل من داخلي ، ورؤوف ثابت ، الذي يركل ويصفع إذا ما اخطأ .. ولا يزال والده يناديه - ولد يا رؤوف- فيستجيب تلقائيا ويرد ..(نعم يا أبي ..) ثم يبقى واقفاً ، حتى يؤذن له بالجلوس..! لذلك ، ولحسن حظ نوال ، وهى التي سلمت .استعادت عاصمتها ، وجنودي على الأبواب .. قبل استباحتها ..!

.. في محاكمة صوريه أقيمت في عاصمة السويد ، لمحاكمة جرائم الحرب في فيتنام ، دعي إليها ، برتراند راسل ، الفيلسوف البريطاني ، مع جان بول سارتر ، الفيلسوف الفرنسي . مع عدد كبير من المفكرين والعلماء .. عقدت المحاكمة جلساتها في قصر الشعب بالسويد ، وسمح بحضور ٢٠٠ من كبار الصحفيين ، من أنحاء العالم ، مع عدد من الشخصيات العامة التي لها مواقف إنسانية .. المحكمة تضغط على أمريكا ، من اجل السلام ، وتتهم أمريكا في عهد جونسون بأنها جهاز عسكري وضيع !

.. بدأ ترحيل الرعايا الإنجليز عن عدن .. والقوات البريطانية تعيش هناك في حالة رعب ، من تكرار هجمات الفدائيين ، التي كثفت ، منذ أعلنت القاهرة مساندتها لهم بلا حدود .. والسخط في لندن يتزايد ضد القاهرة .. القائد العسكري البريطاني ، مونتجمري الذي هزم قوات روميل في العلمين .. يصل إلى القاهرة في النصف الثاني من شهر مايو ٦٧ ، ويمضي عشرة أيام يزور خلالها العلمين ، التي شهدت أعظم انتصاراته . ويقوم باستقباله الفريق صدقي محمود ، قائد القوات الجوية ، والفريق أول عبد المحسن مرتجى ، قائد القوات البرية الذي سيرافقه خلال أيام الزيارة ، وتقرر أن يستقبله الرئيس عبد الناصر في القصر الجمهوري ليرحب به ، وسيلقي مونتجمري محاضرة بأكاديمية ناصر العسكرية . يحضرها كبار الضباط ..

.. تفاصيل الخطة الأمريكية المضادة للثورة العربية على مساحة الوطن العربي أعلنها الرئيس .

" أمريكا أنشأت مكاتب فـــي الأردن ، والســعودية ، وإيــران ، وإسرائيل ، لتنسيق العمل ضد ما يطلقون عليه (النفوذ المتطرف بالمنطقة) وهم يعنون بهذا التطرف . مـــن يطــالبون بحقوقـــهم المشروعة والمغتصبة . وأسلحة أمريكية جديــــدة لإســرائيل .. دبابات حديثة وطائرات ، وقاذفات القنابل من طراز اسكاي هوك ، ومحمد حسنين هيكل يكتب في الأهرام .. ماذا يريـــد مســتر جونسون . ويتساءل : هل يريد أن يتمم انفجاراً في مكان أخــر ، ليلفت إليه النظر ، بعيدا عن هزائمه في فيتنام ؟

وقضيه إقطاع جديدة . انهم يحتفظون بـــالأرض ، ويوزعونـــها على الأقارب والمحاسيب ، بعقود مزورة ، ثم يختلفون فيما بينهم ويلجأون بالشكوى للمشير عامر .. فتتكشف المخالفات .

وجهاز العرائس من إنتاج مصانعنا ، وورش دمياط ، مكون من ثلاث غرف ، نوم ، وسفرة ، وصالون ، خشب سويدي ، بمبلـــغ إجمالي مائة وخمسه وعشرون جنيه .. يبدأ البيع بالتقســيط فـــي المحافظات أول يونية ٦٧ ..

* * * *

كان شقيقي الملازم أول سعيد ثابت ، في يومه الأخير من أجازته .. يستعد للسفر فجر اليوم التالي إلي منقباد في أسيوط ، وأثنـــاء عودته مساءً بسيارة صديقه (كمال الباز) ، الـــذي تركـــها لـــه وسافر إلى عمله بالغردقة .. وبينما كان يقود السيارة ، عائداً من المنشية ، وأثناء عبوره مزلقان ترام باكوس ، المواجـــه لســوق السمك . فوجئ بعربة الترام قادمة من محطـــة صفـــر ، تـــدق أجـــراسها ، حاول أن يخطف المزلقان مسرعاً ، وإذ برجل

يمسك بيد، غلام ، تنشق الأرض عنهما ، أمام السيارة المسرعة كانا يعبران المزلقان ، من الناحية المضادة ، حـــاول ســعيد أن يتفاداهما ، فهو لا يمكنه التوقف أمام الـــترام القادمـــة .. أفلــت الرجل من إصابة محققة . ولكن الغلام الذي كان بيده ، انـــهرس تحت عجلات السيارة ، وكان ولابد أن يسارع ويعبر المزلقان ، قبل أن تصطدم به الترام .. وتوقفت الترام على الفور . على أثر الصرخات التي صدرت من الركاب والمارة وحامل الإشـــارة الحمراء ، وتجمعوا حول الغلام المصاب ، حدث الهرج والمرج وسعيد تفصل بينه وبينهم عربة الترام ، وهنا تذكر أنه (ميري) وأنه لا يحمل رخصة قيادة .. وصديقه كمال قد ســـافر ، وفـــي لحظة من الرعب ، وعدم التوازن ، دفعه الخوف نحو الهروب ، أدار السيارة ، واندفع بها في شارع باكوس الرئيسي . ثم توغـــل بها ، في شوارع أرض الموز الفرعية - لكـــن أولاد الحـــلال - حصلوا على رقم السيارة . وقام أحدهم بمطاردتها جريا خلفـــها ، حتى تقطعت أنفاسه ، وتوقف .

أفلت سعيد ، وذهب على الفور إلى بيت عم شعبـــان ، بـــأرض سموحة الجديدة ، بالقرب من محطة سكة حديد غبريال . ركـــن السيارة أمام المنزل ، وصعد إلى الطابق العلوي ، يدق باب شقة شقيقه إسماعيل .. جاءه صوت إسماعيل ، الذي استيقظ مذعوراً : من الطارق ؟ . أنا سعيد يا إسماعيل .. افتح .. افتح ، كان يلهث ، وفي حالة من التوتر الحزين والهلع ، كان صوته غريباً علـــى أذنه .. اعتقد إسماعيل لأول وهلة . أن مكروهاً حل على الأسرة .. وفاة الأب أو الأم .. مصيبة تبحث عنه .. أضاء نور الســـلم ، وفتح باب الشقة مخلـــوع القلـــب ، رأى سعيد يتسانـــد على

درابزين السلم ، صحبه إلى الداخل . أجلسه على الكنبة العربي في الصالة ، خرجت لهما فؤادة ، وهي ترتدي الروب فوق القميص .. حكى لهما ما حدث ، وهو لا يصدق أنه قد فعل ذلك وتصرف بتلك الخسة والدناءة .. كان يضرب ساقيه بقبضتا يديه ، في عنف . وكان أول شئ تبادر لذهن إسماعيل أن كمال ، صاحب السيارة ، قد تبحث عنه هذه المصيبة ، وهو في غفلة لا يدري عنها شيئاً .. وسأل سعيد : ما ذنب كمال ؟
كان سعيداً ضائعاً ويتألم ، دون أن يقدم على فعل ايجابي ، إذ أنه لا يزال سادراً في هروبه ، الذي أحزنه ، ولم يتراجع عنه . يمد يده لشقيقه الكبير ليأخذ بها . وكان يريد أن يطمئن على حالة الغلام ، ليتخلص جزئياً من الإحساس بالوضاعة والخسة ، وصورة الغلام الذي كان في العاشرة تقريباً .. نحيفاً ، عندما التفت إليه ، في هلع ، فاتسعت عيناه لتملأ زجاج السيارة أمامه ، قبل أن تطويه تحتها .. ابتلعته السيارة كاللقمة الطرية ، ثم لفظته خلفها.وفي صمت ، ارتدى إسماعيل ملابسه .. ولم يجب على أسئلة فؤادة .. كما أنه رفض أن تنزل وتوقظ والدها ، لمعاونتهما .. طلب منها أن تلوذ بالهدوء ، وتكفي على الخبر ماجوراً ، ومد يده وأمسك بيد سعيد ، في محاولة لإنقاذه .. صحبه وغادرا المنزل دون السيارة ، وذهبا سوياً إلى مزلقان باكوس .. أجلس سعيد بالمقهى القريب من المفارق ، وتقدم هو يسأل ويتقصى حول الحادث ، والغلام المصاب ، علم أن سيارة الإسعاف ، حضرت وحملت الولد إلى المستشفى ، وفيه الروح ، وأن إصابة والده في ذراعه طفيفة . وسمع الكثير من السباب والشتائم ، عن السائق الجبان ، الذي فر هارباً ولم ينتظر ليحمل المصاب

إلى المستشفى ، وهو أقل ما يجب أن يفعله ، وأنهم حصلوا على رقم السيارة ، وأعطوه للرجل المصاب ، ليضمه إلى محضر البوليس بالمستشفى الأميري .. عاد إسماعيل وطلب من سعيد أن يذهب إلى شقة (سان استفانو) ، ويهيئ نفسه للسفر .. كان الكلام بينهما قليلاً ، فقد كان إسماعيل ، يدرك ما يدور في نفس شقيقه من رجاء .. وكان ينفذ له ما يرغب فيه .. كان سعيداً حائراً ، ويردد : ما العمل يا أبيه ؟ قال له إسماعيل : أنت لا تحمل رخصة قيادة ، بينما أنا لدي رخصة قيادة ، منذ عملت سائقاً على سيارة تاكسي .. وإذا ما تجاهلنا الموضوع ، سيأتون بصديقك كمال مسلسلاً في الحديد .. وهو لا له في الدور ولا الطحين .. كان سعيد يهز رأسه ، فقد كان يعلم ذلك جيداً .. ويردد : نعم . نعم .. هذا ما أخشاه . يا أبيه ؟
قال له إسماعيل : لذلك يجب أن نتصرف بسرعة ، ونحاول لمّ الموضوع وجعله في أيدينا ، لنجد له حلاً .. سأذهب إلى المستشفى ، وأقابل الرجل . وأرى ماذا تم لابنه المصاب ، وعلى ضوء ما سأراه ، سنقرر ماذا نفعل .. كان سعيد مستسلماً لما يقترحه إسماعيل . فقد كان يتعجل الوقت ليسافر ، ولا يمكنه التخلف والغياب عن وحدته العسكرية ، هناك .. فهو الضابط النوبتجي ، وله مواعيد محددة ، وعادةً يصل إلى المعسكر ، بعد سفر الآخرين ، في ذلك المكان الناء ، كانت الساعة تقترب من منتصف الليل .. وسعيد عاد إلى شقتهم في سان استفانو ، تاركاً السيارة ، أمام منزل عم شعبان ، على أن يتولى إسماعيل ، الذهاب بها ، إلى مكانها ، في بيت كمال الباز ..
فتح له والده باب الشقة ، وعندما تطلع إلى وجهه ، انزعج :

– ما بك يا سعيد يا ابني ؟ انخرط سعيد في بكاءٍ حار .. كان منذ هروبه من المزلقان ، مقهوراً ، ويريد أن يبكي ، يريد أن يصيح (أنا جبان .. جلبت العار للبدلة العسكرية .. هربت من الناس ، فكيف أهرب من نفسي ؟) استمع ثابت أفندي إلى التفاصيل وقال له : كان يجب أن تتلفن لي ، وأحضر إليك لنسوي هذا الأمـــر ، ولا تتركه معلقاً .. ماذا أفعل لك الآن ؟ يجب عليك أن تســـافر إلى وحدتك . ولا أريد لهذه المشكلة أن يكون لها أثراً في ملفك .. فعاد سعيد يشير إلى دور إسماعيل .. سكن ثابت أفنـــدي تمامـــاً عندما وجد أن سعيد ألقى المشكلة برمتـــها علـــى كـــاهل أخيـــه إسماعيل ، وجاء إليه يبكي كطفل صغير . كانت الأم رئيفة قـــد استيقظت واستوعبت المشكلة .. لم تقترب منه .. تركت ســـعيد جالساً على طرف كنبة أبيه ، ولحقت بالرجل الذي شرع يرتـــدي صديري البدله الكحلي بعد أن عقد رباط العنق ، كانت تريـــد أن تحتضن سعيد ، تخفف عنه . لكن هروبه من مكان الحادث دون مبرر ، وإلقاء مشكلته على رأس شقيقه الأكبر إسماعيل ، وهـــو ذلك الذي يعطي ولا يأخذ . جعلها تحجم عن مواساته في غضب حزين .. وكانت تريد أن تطمئن على إسماعيل .. فإن سعيد سيعد حقيبته ويرتدي بدلته العسكرية وينصرف بعد عدة ساعات .. أما إسماعيل .. ماذا سيفعل ؟ وماذا سيفعلون به ؟ عندما يتقدم إلـــى المصاب وأهله ، ويبلغهم بأنه السائق الذي صدمه ، وجاء ليسوي الحادث القدري الذي ليس له يد فيه ، بمـــا يرضيـــهم .. قـــالت لزوجها وهي تناوله الجاكت وتبحث لـــه عـــن الحـــذاء : عيـــن وأصابتنا .. أنها عين قويه التي أصابتنا يا أبو إسماعيل "

.. منذ حدث الشقاق بين ثابت أفندي وولده إسماعيل .. لم تكن

تناديه أبو إسماعيل ، فعلت ذلك تلقائيا وهي تري أبنـــها الكبـــير يتقدم ويضحي من اجل ابنها الصغير .. وشعر ثابت أفندي أنـــه جار على ابنه الكبير .. وأنه عامله بقسوة غير مبررة .. وكانت القسوة زائدة .. ذهب ثابت أفندي إلى المستشفى الأميري بمحطة الرمل .. ومن الاستعلامات إلى مكتب نقطـــة البوليـــس بداخـــل المستشفى ، قدم شخصيته ، وذكر اسمه الثنائي مقرونا بمكانته في الاتحاد الاشتراكي عدة مرات ، لكل من توقف أمامه وسأله عـــن جغرافية المكان أو ملامح الحادث والمصاب .. كان يتحدث فـــي جدية وصرامة الرجل المهم ، وكشخصية من المفروض أن يكون مساعد الشرطة بالمستشفى ، والبوابين ، والتمرجية ، والحـــراس ، وبعض شباب أطباء الامتياز ، على دراية بها .. واطلع علـــى تفاصيل المحضر .. (الغلام أصيب بكسر في ذراعـــه اليمنـــى وتهتك بالفخذ الأيمن وبعض الجروح الســطحية بفـــروه الـــرأس والجبهة ، والرجل أصيب ببعض الرضوض في ذراعه) وعلـــم من (المساعد) بأن الدنيا لإيزال فيها كثير من أولاد الحلال ، إذ أن سائق السيارة التي خبطت الولد وأبوه أمام المزلقـــان عندمـــا أفلت من الموت أمام اندفاع الترام .. جاء بنفســـه يبحـــث عـــن المصاب ، وأدلى باعترافه ، وقيد رخصته وبطاقتـــه العائليـــة .. اسمه إسماعيل ثابت عبد الغفار ، ويعمل في شركة تصنيع الورق (وقال المساعد) أنه ذهـــب مـــع الشرطـــي وشخـــص يدعـــي (شعبان) إلى عنبر الاستقبال ، للاطمئنان على المصاب ، لحين عمل الإجراءات الأولية لهما..

كان ثابت أفندي يقلب في رأسه كافة السبل ، والوســائط ، التـــي يمكن استخدامها ، لخروج ابنه إسماعيل من هذا المأزق (صـــاغ

سليم) بداية ، فكر في تقديم تعويض مالي للرجل عن أصابـــه أبنه "وتكبيس الجرح بُن"، بعيداً عن إجراءات الحكومة والمستشفى .. على أن يتم شطب الأسماء من سجلات المستشفى ، ويرفـــق محضر الصلح مع مذكرة الشرطة ..."

كان كل مايهم ثابت أفندي ، أن يخرج من المستشفى وبيده أبنـــه إسماعيل ، بأقل حجم من الخسائر ، بعد أن أفلت سعيد وسافر إلى وحدته ..

كان متلهفا إلى رؤيته ، واحتوائه في صدره .. ولكنه لا يـــدري ماذا سيفعل إذا ما وقف أمامه (عم شعبان) هل ينسى أنه الرجل الذي زوج الولد من أبنته دون حضور والده ؟ هل يتجاهله ؟ هل يضايق ذلك إسماعيل ؟ فتعود بينهما القطيعـــة والجفـــوة فتمتـد لتنغص عليه جانبا من استقراره العائلي ..؟ أم أن إسماعيل وهو في أحضانه . لن يعنيه (شعبان وابنته) وينس كل شئ ..!؟

(٩)

انشغلت بمتابعة أخبار وتحركات وأقوال مونتجمري ، في زيارته الودية لمقبرة العلمين غرب الإسكندرية . وكنت لا أعود إلى شقة سان استفانو ، إلا في ساعة متأخرة .. جعلت محطتي ، النــادي الأولمبي . أجلس في مكانٍ ناءٍ ، وأعيد صياغــة الأخبــار قبــل تسليمها لمكتب الإسكندرية .

كان والدي غاضباً مني ، لأني لم أتفرغ وأشارك في الأزمة التي تعرض لها شقيقي إسماعيل ، بسبب شقيقي سعيد .. والمفاوضات التي تدور بين الرجل المصاب ، وابنه الذي تم تجبيــس ذراعــه وساقه ، وصار مشبوحاً على سرير بالمستشفى الأميري ..

الرجل يعمل (استرجيا) ، ويقوم بتلميــع الأثاثــات والموبيليــا القديمة ، جوّالاً لا يملك محلاً ثابتاً ، وعندما أبدى ثــابت أفنــدي استعداده ، بأن يتحمل علاج ابنه حتى يتم الله له الشفاء ، الرجــل هادن ، ووافق مبدئياً على العرض .. فقد كان عائلاً لأسرة مــن ثلاثة أولاد ، أصغرهم (إبراهيم) المصاب . التلميذ بالمدرســة الابتدائية .. عرض ثابت أفندي شروطه ، بأن يتنازل (الأسطى جابر) أولاً ، عن محضر البوليس ، ويعقــد صلحــاً كتابيــاً .. ووافق الأسطى جابر.. وانتظر المقابل . حتى يبدأ الإجــراءات ، ولكن ثابت أفندي كان ينتظر منه أن يأتي هو بالخطوة الأولى .. وخاصة وأنه بعد ثلاثة أيام ، لم يعد الأسطى جابر يشعر بــالآلام في ذراعه . كما أن صور الأشعة ، كانت إيجابية ، وهي بشرة خير ، أن يتماثل ابنه إبراهيم للشفاء العاجل بإذن الله . والأسطى جابر من ناحيته ، لا يشتري سمكاً في بحره ، وهو ابــن ســوق يعمل بالقطعة . انتظر حتى تأتي الخطــوة الأولــى من الرجــل

المُهم . الذي يذكر مناصبة في الاتحـــاد الاشـــتراكي ، وأســـماء معارفه للسادة المسئولين .. ويتحدث بتأني في صوت مدغوم في الحلق ، كواحد من ناس الدولة . ولم يقم ثابت أفندي بوضع شئ من المال في يد الأسطى جابر ، تعبيراً عن حسن النوايا ، بل قام بالضغط عليه ، مستخدماً أسلوب التهديد والـــترغيب ، ليتنـــازل ويتصالح ، فلم يجد الأسطى (جابر) بداً مـــن أن يتحـــدث فـــي صراحة ، عن (عربون المقاولة) ، فلم يفهم ثابت أفنـــدي ، أو هكذا ظهر عليه في البداية .. فقام إسماعيل بتوضيح المعنى له .. الاتفاق يا أبي .. مبلغ التعويض الذي لمَّحت بـــه ، كـــم يكـــون إجمالاً ؟ وكم سيدفع منه مقدماً ؟ وشروط دفع المؤخر ؟

قال ثابت أفندي مغمغماً وكأنه يخاطب نفسه : (إذن هذا هو مـــا يقصده بعربون المقاولة ؟) . على الفور انتحى بابنه إســـماعيل جانباً في عنبر المستشفى ، لمناقشة التفاصيل ، ذهل إســـماعيل ، وهو يستمع لاقتراحات والده ، بأن يعرض على الأسطى جـــابر عشرين جنية مقابل العلاج والتعويض .. قـــال لـــه إســـماعيل : الأسطى جابر أسترجي وكسيب ، والعشرين جنية ، يلمـــع بـــهم دولاب أو سرير في عدة ساعات . وهذا لا يمثل له شيئاً .. بل أن هذا العرض سيثير سخريته ويغلق باب المفاوضات بيننا وبينه .. لكن ثابت أفندي كان يصيح بصوت مخنوق ، في وجه إســـماعيل بأن العشرين جنيه (ماهية) شهر لموظف بمؤهل عال.. واقترح إسماعيل ، أن يكون العرض المبدئي خمسين جنية ، ويرتفع إلى مائة ، في حالة عدم موافقته تدريجياً .. ولكن ثابت أفندي اقـــترح أن يتـــم الأمـــر بعشرين وبعدها خمس، وخلاص .. ذكـــر لـــه

إسماعيل أن هذا أقل ما يجب عرضه .. لكن والده أشاح بيده في وجهه غاضباً ، ومعترضاً . ثم رفع العشرين إلى ثلاثين وتشبث بهم لا يزيد عنهم جنيهاً .. وصرح بأنه لا يوجد دونهم معه .. إذا قبل وأخذهم الأسطى جابر ، وتوكل على الله ،وكان بها .. وإذا لم يقبل (مطرح ما يحط رأسه يحط رجليه) .. ثم هدأ ، وأخذ يشرح لإسماعيل بعض الثغرات الموجودة في محضر البوليس . وإسماعيل يستمع على مضض.رقم السيارة المدون في المرور باسم كمال الباز.والشهود أدلو بأوصاف سائق تختلف أوصافه عن أوصافك ، ولدينا شهود ، أنك لا تمتلك سيارة ملاكي . ونفس الشهود يمكن أن يشهدوا بأنك كنت في مكان آخر ، أثناء وقوع الحادث .. ومحامي (متودك) يطلع القضية (فاشوش)... ..

رضخ إسماعيل مغلوبا على أمره .. فتقدم ثابت أفندي بالعرض على ألاسطي جابر .. يسبق العرض بكثير من كلمات (لجنة المصالحات) التي تجعل من مياه البحر طحينة ..! لكن الأسطى جابر كان مقهوراً ، وتمتلئ عيناه بالدموع ، فلم يسمع شيئاً من كلام ثابت أفندي المعسول .. سأله إسماعيل :

– ماذا حدث ياأسطى جابر .. تركناك وأنت في حالة جيدة ..

قال الاسطى جابر في صوت باك متقطع ، وهو يمسح أنفه الذي سال : أبني إبراهيم يا أستاذ .. ابلغني الدكتور ، أن رجله المكسورة ، لن تعود كما كانت ، وسيعيش طوال عمره اعرجاً .. تبادل إسماعيل ووالده النظرات . كان يريد أن يقول له : ليس الآن يا أبي الموقف تبدل – لكن ثابت أفندي ، تقدم بثبات ، بالعرض الهزيل – على الفور ، رفض الأسطى جابر هذا المبلغ

التافه . بل أنه عرض ألف جنيه ، يدفعها ، وتعود لإبراهيم ساقه ليجرى ، ويلعب الكرة .. مسح دموعه وتمخط وهو يقول .. ابني كان (حريف كرة) وكان أملي أن يلعب كرة قدم ، فـــي نـــادي الاتحاد ! تجمد ثابت أفندي قليلا .. ثم قال : وماذا ســـتفعل يـــا أسطى جابر ؟

قال الأسطى جابر في تحد لينهي المقابلة : خلاص يابيه ، القانون يأخذ مجراه . كان إسماعيل يريد أن يأخذ ويعطي مـــع الأســطى جابر ، حتى يتبين مدى ما يمكن أن يقبله ، وخاصة وأن ســـاق ابنه استحوز على عاهة مستديمة ، قد تدعم قضية تعويض ضدهم .. لكن ثابت أفندي ، في شئ من العصبية ، جذب إسماعيل مـــن ذراعه ، وانصرف به من الحجرة ، عازما على أن يجعله ينكـــر الواقعة في النيابة ، ويترك الباقي لمـــهارة المحـــامي وألاعيبـــه القانونية ، ويتعشم أنه مع مرور الأيام ، التي ستستغرقها القضية ، وربما السنوات التي تتفتت فيها الحجارة ، إلى رمل وطيـــن . يأمل ثابت أفندي أن تندثر القضية .. وأكـــم ؟ !

* * *

أحاطني إسماعيل في مكالمة تليفونية ، عند منتصف الليل ، بآخر تطورات القضية ، وطلب مني ، أن أتحرك من نـــاحيتي (علـــى رواقه) في إقناع (ثابت أفندي) ، بدفع تعويضا مناسبا يتحملـــه حضرة الضابط من حر مدخراتـــه ، وأن أحـــاول مـــن جـــهتي الاتصال بالسادة المسئولين ، لنقل ابن الأســـطى جـــابر ، إلـــى مستشفى (ناريمان) المتخصص في العظام .. بادرت ، وشكرته على موقفه النبيل ، ووعدت بأنني سأتفرغ قريبا لعمل الـــلازم .. قمت بنقل الغلام إلى مستشفى ناريمان بعد لقـــاء سريع مع مدير

المستشفى ، ولكنى لم أفاتح أبى في مسألة التعويض المناسب .
تجنباً للصدام به . وأيضا لعدم امتلاكي للوقت الكافي لقعدات
الصلح العرفية ، كثيرة الخطوات ، وخاصة أنها مرتبطة
بتنازلات عن محاضر ومذكرات لدي الشرطة . وخاصة وأن
الأحداث العربية والعالمية كانت تتلاحق من حولي : عندما أخذت
إسرائيل تهدد سوريا ، مستهدفة احتلال مرتفعات الجولان ،
وتزعم أن مدفعيتها تهدد التوسعات في إنشاء المستوطنات ،
والكيبوتزات ، وتلقائيا كانت تركيا ، من ناحيتها ، تقلب في
خلافات حدودية ، وتهدد ببناء سدود على مصادر المياه ..
ووضح لكل ذي عينين ، أن الضغوط على سوريا وتكرار
الاعتداءات عليها ، يستهدف ، زعزعه الثقة بالحكومة السورية
الوطنية ، التي ترغب في عودة الوحدة . وذلك لإسقاطها وإحراج
القاهرة ، التي كانت تحرك كثيرا من الأحداث ضد الاستعمار
والرجعية ، في الجنوب العربي ، والشمال المغربي العربي ،
وفي ذلك الوقت ، كانت الجمهورية اليمنية ، تكاد تفلت من
التصفية ، ويتحقق الهدف من إرسال القوات المصرية إلي هناك .
وقد أفلتت من مرحلة الخطر وصلب عودها . ولم يعد لورثه
الإمام المخلوع مكانا .. كما أن جونسون في أمريكا ، تبني
الأماني الصهيونية ، وصار مواطنا إسرائيليا ، خاضعا لرغبات
ليفي اشكول ، وهو مقدم على العملية الانتخابية ، التي تجرى في
أمريكا ، بحسابات أصوات اليهود وتبرعاتهم ..!
وتكرار العدوان على الحدود السورية ، وعدوان جديد لإسرائيل
على قطاع غزة .. إذ تقدمت ثلاث مدرعات إسرائيلية مصفحة
لمحاولة مهاجمة جماعة من الفلسطينيين ، يعملون داخل خط

الهدنة ، اخترقت هذه القوات المدرعة بغتة خط الهدنة ، وأطلقت وابلا من نيرانها دون إنذار ، في اتجـاه الفلاحيـن والرعـاه .. فاشتبكت المدافع الأمامية المصرية ، من قطاع غزة ، بـالنيران مع هذه القوة التي بادرت ولاذت بالفرار .. ولم تحدث خسائر في الأرواح .. وعلى إثر هذه المناوشة الإسرائيلية ، فُسرت على أنها ، عملية جس نبض ، لهذه المواقع ، لتقدير كثافة النيران بها ..!
والمخابرات المصرية ، تنقل للسيد الرئيس ، أنباء ، عن حشـود إسرائيلية ، تمهد لعملية مباغتة ضد سوريا ، تحتل بها مرتفعـات الجولان . وتعدل حدودها لتشمل بعض مصادر المياه ، وتعمـل على تعطيل بعض المشاريع المائية والسدود في سـوريا ، مـع إسقاط الحكومة الوطنية هناك . وثمة تحرك من الجانب التركي ، لتسوية خلافات حدودية ، ستتم في نفس الوقت ، لتشتيـت القـوة السورية . وتسهيل مأمورية إسرائيل . إذ أن العدوان سيتم سريعاً ، ويعقبه تدخل عالمي من أمريكا وبريطانيا .. ومن المتوقـع أن الجيش المصري الذي يعمل في اليمن ، سيكون رد فعله فاتراً .. وستجد بريطانيا فرصتها ، لوقف تدخل مصر في الجنوب العربي .. ولم يكن الوقت المتبقي على (الضربة الإسرائيلية) كافيـاً ، لمناورات في الأمم المتحدة ، أو تقديم تحذيرات .. كـان الوقـت يحسب بالدقائق وكان رد فعل القاهرة لوقف الضغط على سوريا ، يميل إلى رفع القومية فوق الوطنية . إذ قام مـدرس التكتيـك الحربي ، بالكلية الحربية سابقاً .. بحركة تكتيكية بارعة ، كـان ميدانها ، خليج العقبة .. فقد أعلن إزالة آخر آثار لعدوان ١٩٥٦ على مصر .

عندما كانت السفن الإسرائيلية ، لا يسمح لها بالمرور في قنـــال السويس أو المضايق .. وحتى يحدث التأثير المــدوي ســريعاً . أنهي - فجــأةً - مهمـــة قوات الطوارئ الدولية ، مـــن جـانب مصر وأغلق ، مضيق (تيران) .. لقد دخلــت مصـــر بثقلـــها بجانب سوريا . لم تعلن فقط بأنها تشجب وتؤيد ، أو ترسل بعض العتاد الحربي إلى سوريا ، ولكن مصر - أحبطت الاســتعدادات الإسرائيلية والخطط الخفية - ليستدير الجميع نحوها .. إذا كنتـــم ستعتدون على سوريا لإحراج مصر .. فنحن هنا . تعــالوا إلينـــا صراحة ، نحل مشاكلنا ، إما بالأصابع أو الأسنان ..

وإذا بالانفجارات تتوالى في عواصم العالم ، غربه ، وشرقه ، في زخم ، يذكر الدنيا بما فعلته مصر ، في مقدمــــات تــأميم قنـــال السويس البحرية ، رداً على عدم تمويل مشروع الســد العـــالي ، عندما انقسم العالم إلى معسكرين ، واندحر العدوان . وارتفعـــت قامة مصر .. هل يتكرر نفس المشهد . الذي مر من إحدى عشر عاماً .. السيناريو والإخراج لعبد الناصر .. لقد تحققت أول نتائج السيناريو الجديد ,, إذا ارتفعت اليد الباطشة عن سوريا ، واستدار الديناصور المدجج بأحدث الأسلحة ، نحو مصر . وكانت مخالبه على الحدود المصرية ، وبدنه المهول مع ذيله البـــاطش ، يمـــلأ القارة الأوربية وأمريكا الشمالية .. وبدا للعالم - إعادة لأسطورة التنين - بحجمه الهائل وقوتـــه الغاشمـــة ، والفـــارس النبيـــل ، بصورته الآدمية . وبيده سيفه القصير ، لذلك كانت ردود الأفعال ، في عواصم العالم . تتصادم تشفيـــاً أو تأســياً .. بيـــن مؤيـــد ومعارض ..

(أمريكا وجدت الفرصة ، تقدم لها على طبق من الفضة ، بتأييد

مطلق من بريطانيا المجروحة في الجنوب - القـرارات المهمـة تسير في مزالق محفوفة بالأخطار .. هل أخطأ مدرس التكتيـك في التقدير ؟ من المؤكد ، كان قد وضع أمامه كل الاحتمالات .. ولكن الوقت لم يسعفه ، للمناورة والدراسة المتأنية .. لكنه يعتمد على قوة الدفع العالمية .. التي ساندته ، منذ إحدى عشر عامـاً ، فخففت عنه ثقل ثلاث دول معتدية .. هل تبدلت الظروف بالدرجة التي تعرض توازن العالم للخطر ، من أجل مرور سفن إسرائيل ؟ قبل الضغط عليها لتنفيذ قرارات الأمم المتحدة المعطلـة لصـالح اللاجئين الفلسطنيين .. لقد تمكن في تكتيـك آخـر ، أن يحـول المسائل من ميدان إلى ميدان آخر .. فيحاصر المعتدين بالسياسة ، ويعطل آلياتهم العسكرية .."

* * *

,,عاد الكاتب المفكر حسن ذهني ، من الاتحاد السوفيتي ، وجنوب شرق آسيا .. وأخذ يحلل أمامي ، تداعيات مواقف غلق المضايق كما رآها هناك . وكيف بلغ الموقف ذروته في دائرة أصدقاء غير ملتزمين إلا بما تمليه عليهم مصالحهم وارتباطاتهم في ناحيـة ، وفي الناحية المقابلة ، إسرائيل بحلفاء طبيعيين . وكأنـها قـاعدة متقدمة لجيوشهم في نوع متجدد من الاستعمار الجديـد ، طويـل الأجل . لـها مـهام خاصـة ، تتعلـق باقتصاديـات المنطقـة واحتياطياتها من خام البترول .. وقد صارت تكلفه إقامة الجيوش في ظل رياح الوطنية ، والقومية ، فوق الطاقة ، لأي دوله مهما كان ثراؤها .... ,,

كنت مشحونا بما تأتي به الأنباء والأحداث المتلاحقـة . وكـان والدي وأخي إسماعيل يحضونني على التفرغ لمساومة الأسطـى

جابر ، ليتنازل عن حق ابنه الأعرج ، في التعويـض المناسـب
تعمدت الهروب من البيت إلى النادي .. وإذا ما ضاق بي الحـال
أتصل بصديقي محمد خضير ، فيأتي .. أريد أن أضـع أمامـه
العالم الذي يلتهب ، أراجع عليه (كسبورة) لا موقف لـها ، ولا
مداخلات .. حتى يمكنني ترتيب أفكاري ، ويفرغ خضير أمامي
ما في قلبه المشتعل بعشق بدرية . وآخـر التفـاصيل التـي لا
تستطيع نقلي من الطاحونة العقلية التي تهدر في ذهني .. استشعر
خطورة الموقف ، عندما تفشل الزهور فـي ألوانـها البراقـة ،
ورائحتها الذكية ، من أن توقف هدير الذهـن ، فـألوى عنقـي
ورأسي لتستدير إلى الأشياء التي كنت أعشقها ، فأرى كمشـاهد
ملول . أن بدرية على وشك الزفاف في بيت العائلة .. ولا أدري
لماذا ، كلما حدثني خضير عن بدرية ونزهاته معها ، وكشوفـه
الجغرافية الأولى .. أثارني ، فأبدأ بحصر همـي فـي (نـوال
فتحي) . المشنوقة بأكاذيبي .. ربما ، كدرع يحميني من الاندفاع
إلى (بدرية) . القنبلة المشحونة بالعواطف المتناقضة .."
وتشاء الصدف . التي أعول عليها كثيرا ، أن أتقـابل مـع أحـد
المخرجين الشبان العائدين من الدراسة الفنية بأمريكا ، التقينا في
استقبال فندق فلسطين بالمنتزه ، وأنا هناك لمتابعة أحد الوفـود ،
الفنانين الشبان سريعا ما يرتبطون بالصحفيين الشبان ..
تبادلنا التعارف ، وسريعا ما خضنا في مناقشات متنوعة .. جلسنا
سويا على طاولة واحدة ، يعرض أمامي آراؤه وأحلامـه ، فـي
سينما جديدة ، يريدها في مصر ، كنت وأنا استمع إليه ، وأظن أن
عيناه كانت على قلمي ، لأكتب عنه بعـض الأخبـار ، مقـابل
المشروب ، الذي سارع وطلبه ، فأخذت استمع إلى ما يعرضـه

من معلومات طازجة ، وكيف يمكن للعائد من هوليود ، أن يصنع من محليتنا سينما عالمية .. كما فعلت ايطاليا ، وفرنسا ، بتكلفه معقولة ، تبتعد بها عن الإبهار الأجوف للسينما الأمريكية . أدهشني أن معظم العائدين من أمريكا ينتقدونها بشدة ، ويعشقونها بنفس الشدة .. لماذا ؟

وكما دفع (يسري وهبه) بانتقاداته لسينما الإبهار الخالية من الأيدلوجيا ، انقلب ينتقد السينما العقائدية الصارمة في روسيا والصين .. أعجبت بأفكاره المتوثبة ، وأمضينا وقتا في النقاش المتبادل .. وعندما شرعنا في الانصراف ، سألته إن كان لديه أخباراً جديدة ، فصرح بأنهم أسندوا إليه فيلما روائيا . وأمامه ثلاث قصص .. وهنا برقت في ذهني أكاذيبي المعلقة . التي كنت افرشها أمام (نوال فتحي) لتخطو عليها نحوي .. أداعب بها أحلامها الدفينة ، قلت له وأنا أمسك بيده ، وأمسك نفسي عن اللهفة : أستاذ يسري لدي مفاجأة لك ، هدية ، فتاة ، زميلة ، فنانة ، مثقفة ، تهوي التمثيل ، وفي اعتقادي ، أنها جديرة بأن تلتقي بها . فلديها ذلك الجمال الهادئ المؤثر ..

أعجب بتشبيهي فأبتسم .. صمت قليلا .. الوقت القليل الذي كان ينظر فيه نحوي ويفكر ، كان بالنسبة لي دهراً .. ثم قال :(أو. كى) يمكنني أن أراها ، إذا ما عدت إلى القاهرة قريبا .. أنت ستتابعني وتعرف ..

سارعت وقلت : ولماذا القاهرة يا أستاذ ..؟ هناك مشغولياتك العديدة ، يمكن أن أقابلك بها هنا ، إلى متى أنت مقيم في الفندق ؟

قال : ربما أمكث هنا الثلاثة أيام القادمة .

قلت على الفور وأنا أشد على يده : إذا كنت غير مشغول .. نأتي

للقاؤك بعد غد ..!
نظر إلى المائدة والمقاعد وكنا وقوفا .. وقال : على نفس المائدة بعد غد (ونظر في ساعته واستطرد) في نفس الموعد .
شددت على يده في شئ من الامتنان ، وقلت وأنا أتهيأ للانصراف كلاما قصدت به ، أن أترك أثراً طيباً في نفسه : في الخارج ، يكون لمدير الأعمال ، نسبة من دخل الفنان . إذ تصورت أن نوال فتحي ، ستحصل على فرصتها ، وتصير نجمة ساطعة .
ضحك يسري وهبة وقال : هذا إذا قدمت فنانة بالفعل ، ولم تضيع وقتنا . قلت وأنا أحاول نقل شئ من الجدية إليه : أعتقد أنني سأستحق هذه النسبة !!
عندما عدت .. كنت في الطريق ، أتأمل الأكاذيب ، التي نثرتها على مسامع نوال ، تقرباً . وكيف شاءت لها الأقدار ، أن تصير حقائق مع عائد من أمريكا .. هل كنت أستطلع المستقبل بالعقل الباطن . ؟ وصلت البيت قبل والدي .. صحبت التليفون إلى حجرتي ، واتصلت عدة اتصالات بالقاهرة ، حتى عثرت عليها .. وأبلغتها الخبر في زفة من الانفعالات .. وهي على الطرف الآخر مبهورة ، كان قد أضناها الانتظار .. أخيراً يا رؤوف .. أنا لا أعرف كيف أشكرك ؟
حددت لها (الغد) ، موعداً لحضورها إلى الإسكندرية ، وأني في انتظارها في موقف الباص بمحطة الرمل .. كنت قد ذكرت اسم المخرج ، سمعتها تردد اسمه ببطء ، وأعتقد أنها كانت تفكر في الاسم الآخر الذي ابتكرته لها ، ونسيته ..

* * *

حجزت لها في فندق ويندسور، ليلتان .. وبدأت أفكر في استقبالها

، في مرتبه ، تسمو عن العشيقة الطياري .. وأقلب في ذهنـــي ، فكرة الزواج منها .. والتي لم تلح هي عليها كثيراً .. كما أنني لم أكن متعجلاً .. إذ كنت أرى أن مشواري في الصحافة ، لم يبـــدأ بعد . وكنت أشعر بأنني مقدم على الولوج ، إلى عـــالم لا أدري موقعي فيه .

انضـــم هارولـــد ويلسون ، رئيس وزراء بريطانيـــا لجونســـون رئيس أمريكا ، في تهديداته للعربية المتحدة ، وصرح أن مضيق تيران ، الذي أغلق أمام الملاحة الإسرائيلية ، يعتبر ممراً دوليا ، ولا يخضع لتعريف المياه الإقليمية المصرية ! ذلك لأنه حيـــوي لإسرائيل ..! وأعلن القصر الجمهوري ، بأن الرئيس عبد الناصر ، سيعقد مؤتمراً صحفياً في ٢٨ مايو ، يشرح فيه الموقـــف فـــي الشرق الأوسط .. والمندوب السوفيتي في الأمم المتحدة ، يواصل فضح مناورات أمريكا وبريطانيا ، وفي أول اجتمـــاع لمجلـــس الأمن ، لبحث أزمة الشرق الأوسط .. لـــم يكـــف عـــن حشـــد المعارضين لسياسة الغرب ، والمتجاهلين لأفعال إسرائيل ، وذلك عندما حشدت الحشود العسكرية ، ضد سوريا ، واعتـــدت علـــى غزة .. ولم يتحرك أحد تجاه ذلك !! وقواتنا المســـلحة ، ترفـــع درجة الاستعداد لمجابهة ما تلوّح به إســـرائيل ، مـــن ضـــرورة استخدام القوة في المرور ، لفتح المضيق .. ومصر تهدد بإغراق أي سفينة (للأعداء) ، إذ تعتبر نفسها في زمن حرب ، وعلـــى سفن غير الأعداء تجنب ذلك .. ووكالات الأنباء الأمريكية ، تذيع تهديدات لجونسون ، باستخدام القوة ضد مصر ، وأبا إيبان وزير خارجية إسرائيل .. يطير إلـــى واشنطـــن للتشـــاور .. ووزيـــر خارجيـــة بريطانيـــا ، يواجه لدى وصوله إلى موسكو ، بتحذير

سوفيتي ، بضرورة توقف الدول العظمى ، عـــن التفكـــير فـــي التدخل بالقوة في مسائل تخص الدول الصديقة . وأن يكف الغرب عن الانحياز السافر ، لإسرائيل . التي هددت سوريا ، والآن تهدد مصر ..

//*/*/*

.. إسرائيل ما زالت تردد نغمة الحرب ، والاستعداد لها ، بتصريح من ليفي أشكول رئيس الوزراء ، قال فيه : ان هذه الساعة حاسمة لإسرائيل ، وأن الأمور تهيأت عالميا ، كما لم تتهيأ من قبل ..! وفي مصر ، استمر تدفق القوات المسلحة ، في اتجاه المناطق الشرقية ، على طول الجبهة مع إسرائيل ، لوقف أي تدخل إسرائيلي مدعوم بالعتاد الأمريكي .. وذكر أن القوات المصرية ، بثت ألغاماً في مناطق محددة من خليج العقبة ، وقد أعلنت مصر هذا لجميع السفن المتجهة إلى الخليج .. ونشط أبا ايبان في رحلاته المكوكية ، بين عواصم دول الغرب ، باريس ولندن . وعاد إلى واشنطن مرة أخرى .. وجاء إلى القاهرة يوثانت . السكرتير العام للأمم المتحدة . وقد فقد ابتسامته الوديعة .. وبدأت مباحثاته مع المسئولين المصريين . وتولى (رياض) شرح وجهة النظر العربية باستفاضة .. وأعلنت حكومات ، العراق ، اليمن ، الكويت ، لبنان ، سوريا ، تضامنهم الكامل مع موقف القاهرة . وأعلن تأييد من الصين ، وكوريا الشمالية ، وفيتنام ، والهند ، ويوغوسلافيا ، وروسيا ، لإجبار إسرائيل على تنفيذ قرارات الأمم المتحدة المعطلة لصالح اللاجئين الفلسطينيين قبل فتح المضيق ..وفي الساعة الخامسة بعد ظهر الأربعاء (٢٤ مايو) نجحت تجارب الغارات الوهمية على القاهرة والإسكندرية ، وكان ثابت أفندي يلاحقني بضرورة إقناع الأسطى جابر بتحرير محضر صلح ، مادمت قد عاونته ، في نقل ابنه للعلاج بمستشفى ناريمان للعظام .. شعرت بالضيق وأنا أرى اهتمامه قد انحصر في هذا الموضوع .. وعدم تأثره بما يحدث حوله من

انفجارات عالمية ، وتهديدات بضرب سوريا - تنفيذا للخطة التي كشفت - لجر مصر إلى حرب . تدخل فيها قوات أمريكا التـــي انتشرت في البحر الأحمر والقواعـد الغربيـة .. وقـوات مـن بريطانيا .. لإسقاط النظام في مصــر .. حـاولت أن أنقـل لـه الموقف المتفجر ، فإذا به يضيق بالحديث في السياسة .. يسـخط في وجهي : " أكلمك عن أخوك ، تكلمني عن أمريكا ، وبريطانيا ، وإسرائيل .. اهرب يا رؤوف ، فأنت لست منا .. وإســماعيل ليس أخوك .. له الله . نحن لا نريد منك أن تحشر نفسك بيننــا ، دع الأسطى جابر يحبس إسماعيل .." كان من الضــروري أن أغادر الشقة قبل أن يتطور الحوار بيننا . ليقسم بــأغلظ أيمـان المسلمين (ما أنا معتبها) .. كنت أهبط السلالم وهـو لا يـزال يصيح خلفي .. أنت هكذا مثل القرع تمد بره .. لم تفـد أخ مـن اخوتك .. لا أدري أين تذهب نقودك ، وماذا بعد هذه الكتب التي تزحم لنا بها الشقة .. و .. كنت أعدو حتى تلاشى صوته . كان إسماعيل قد دبر مائة جنية ، أعطاها للأسطى جابر ، دفعة أولى .. ووعده بمائة أخرى ، سيرغم سعيد على دفعها عند حضــوره في الإجازة .. وترك للأسطى جابر حرية التصرف أمام القاضي في المحكمة . وكان قد طلب مني عدم ذكر ذلك أمام أبي الــذي أحجم عن دفع مبلغ التعويض ، فتركه لهواجسه .."

بدأ العمل ليل نهار في الموانئ لتخزين البضــائع ، بعيـداً عـن أهداف الغارات المتوقعة .. ومجلس الوزراء يبحث في اجتمــاع برئاسة عبد الناصر . الموقف الراهن ، وأبعاده ، ويصرح (أمين هويدي) وزير الدولة ، بأن المجلس ، استعـرض الموقف بدقة

واستمع إلى بيان الدكتور محمود فوزي حول التطورات الخارجية .. وعن الاستعدادات الداخلية ، وألقى شعراوي جمعة بياناً عن تزايد الترتيبات بشأن الأمن الداخلي ، والدفاع المدني .

وتحدث عباس زكي وزير الاقتصاد ، عن كافة الإجراءات لتوفير النقد الأجنبي ، اللازم لعمليات الاستيراد ، من جميع أسواق العالم ، تجنباً وتحسباً لما سيحدث من إعاقات وحصار لتوفير المواد الغذائية ، والدكتور نزيه ضيف وزير الخزانة ، وضع خطة لما قد تتطلبه الظروف القادمة من التزامات عاجلة وغير عادية .. والمشير عامر يطمئن المجلس على خطط الدفاع عن غزة ، والمضايق في سيناء ..

وفي أعقاب ذلك ، جاء تهديد من بعض الدول العربية ، بدخول البترول طرفاً في المعركة .. واستقبال المشير عامر لصباح الأحمد الجابر ، وظاهر الزبيري .. وفي أعقاب جلسة طويلة لمجلس الأمن ، هددت فيها روسيا ، باستخدام (الفيتو) .. والحكومة الأمريكية تقوم بتوجيه نصيحة إلى إسرائيل ، بأن لا تتعجل ، ولا ترسل سفينة للمرور في المضايق في الوقت الحالي على الأقل ، حتى يمكن استيعاب الموقف العالمي الذي انقسم حول حق مصر في مياهها الإقليمية ، وحق مصر في بقاء القوات الدولية على أراضيها ، من عدمه .. وهنا تعلن إسرائيل تأجيل إرسال سفنها للمرور بالقوة في المضايق ..

ويسأل الكاتب الصحفي عميد الإمام : هل سنحارب إسرائيل ؟ أم سنرضخ لظلم الدول الكبرى ؟ ماذا سيحدث عندما تنطلق إشارة البدء بالمعركة ضد الأعداء ، هل احتياجاتنا من المواد التموينية متوفرة ، ونحن قد نحاصر ؟ وهل امتلاكنا للعزيمة كاملا ،

لنكرر البطولات على أراضينا ؟ أم أنها معركة دبلوماسية ساخنة ، تستخدم فيها القذائف اللسانية ..؟!

وإسرائيل تعود وتشعل الموقف من جديد ، بعد أن هدأ يوماً أو بعض يوم . ومحمود رياض ينذرهم في حسم : سنتخذ التدابير ضد أي سفينة إسرائيلية ، تدخل مياهنا الإقليمية . وفي ٢٦ مايو ، تتلقى سياسة أمريكا في مجلس الأمن ، هزيمة منكرة ، فالأعضاء يرفضون بالإجماع مجرد التشاور مع المندوب الأمريكي ، لإيمانهم بالتحيز غير المنطقي لجانب إسرائيل ، والذي يعرض العالم لخطر الحرب والدمار ، من أجل مرور السفن الإسرائيلية في المضايق المصرية . دون إرغام أو ضغط على إسرائيل ، لتنفيذ قرارات المنظمة الدولية ، الصادرة لصالح اللاجئين . بينما إسرائيل كانت محرومة من هذا الحق أصلاً ، قبل حرب ١٩٥٦..

والاتحاد السوفيتي ، يرفض التشاور مع دول الغرب ، قبل سحب الأسطولين الأمريكي والبريطاني من البحر المتوسط ، إلى أماكنهما قبل اشتعال الأزمة .. ويوثانت يطير عائداً إلى نيويورك ، حاملاً في حقيبته ، تصميم (العربية المتحدة) ، على تأكيد حقوق الفلسطينيين ، وتأكيد حق العرب في مياههم الإقليمية ، مع عدم مساواة الأصدقاء بالأعداء ، حتى يتوقف العدوان المتكرر من إسرائيل ، على جيرانها ..

وعلى الفور تبدأ أمريكا في ترحيل رعاياها ، وكذلك بريطانيا .. عن مصر وإسرائيل ، ليعطي ذلك مؤشراً بتصاعد الأزمة إلى الذروة .. والشقيري ، رئيس منظمة التحرير الفلسطينية ، يخطب إلى الشعب الفلسطيني ، من فوق منبر الأزهر الشريف ، يحثهم

على البذل والعطاء ، إذا ما نشب القتال .. والقوات البحرية المصرية ، ترصد تحركات مريبة للأسطول السادس الأمريكي .
ويكتب فتحي غانم في الجمهورية " رائحة المؤامرة الأمريكية البريطانية ، والتواطؤ المكشوف مع إسرائيل تزكم أنف العالم..! "
(وشمس بدران) وزير الحربية ، يجري محادثات عاجلة مع كوسيجين و بريزينيف في موسكو ، والشعب العربي من الخليج إلى المحيط يزمجر ويتوعد بسحق العدوان ومصالح الغرب ، إذا تم استخدام القوة ضد مصر ، ذلك في عدد من المؤتمرات الشعبية في العواصم العربية ، التي تنعقد للتنديد بالاستعمار والتأييد للقاهرة ودمشق .. "

.. حضرت نوال فتحي إلى الإسكندرية .. وباءت تصوراتي بالفشل ، إذ كانت بصحبتها زينب ابنة خالتها ، وهي شابة في طور المراهقة ، كثيرة الحركة ، كثيرة الانفعالات . وتلجأ إلى الصمت الطويل ، وتضيق بالأماكن المغلقة ، وسريعاً ما يصيبها الملل من الأماكن المفتوحة .

.. ورأت نوال في عيني الإحباط ، فعملت على منحي بعض القبلات الخاطفة ، والضمات السريعة غير الفعالة ، في الأوقات القصيرة ، المنزوعة من التصاق زينب بها ، ولم تسمح لي بأكثر من ذلك .. حتى بت أعتقد أنها أحضرت معها زينب خصيصاً لتأخذ مكانها أمام الميزان . وتمنحني منها بقدر لا يشبع ولا يغني من جوع ، وربما كان ذلك جزءاً من خطة ، لأستدبر الأمر المهم وهو التعجيل بطرح عرض الزواج ، الذي نوهت عنه . ونكصت عن المضي فيه . هو بالتأكيد ، كان قد أينع في صدرها ، وربما أنشأت فوقه عشنا الموعود ..!

صحبت نوال ، إلى المخرج (يسري وهبه) ، ومن أول وهلـــة أعجب بها . وتخلى عن فتوره الغربي .. تحمس ، وشاهدها مـــن الأمام والخلف ، ومد يده إلى وجهها فأداره ، ليشـــاهد بورتريـــه نصف الوجه .. وصفر بفمه ، وخلع نظارته ثم أعادها إلى عينيه وهو يقترب منها ، ويحدثها عن الفيلم ، والدور المناسب الـــذي يمكن أن تلعبه .. وكيف سيقوم بتدريبها لدى أفضل الأســـاتذة .. ورشح لها عبد الوارث عسر ، ليعلمها فـــن الإلقـــاء الســـينمائي المتمهل .. وأخذ يذكر لها طريقة نطق (المليجي) ، وبروزتـــه للكلمات والمعاني .. والفرق بين ، نطق المسرح ، ونطق السينما ، المنلوجات ، والديالوجات وأن نطقنا العادي إذا سجل للسينما ، لا يستطيع المتفرج متابعته – وأشار إلى أن السينما تختلف عـــن المسرح .. والاثنين تختلفان عن الواقع .. كنت أنا وزينب علـــى نفس المائدة .. لفت انتباهي هذا الدرس السريع ، سألت يســـري وهبه : كيف ؟ فأرجأ الرد إلى مناسبة أخرى ، بإجابة ، استخدم فيها أصابع يده ، التي ليس بها سلسلة المفاتيح ، والولاعة الفضية التي تحمل دعاية لمنتج أمريكي .. إذ كان مشغولاً بالانتقال مـــن موضوع إلى آخر ، يحيط به نوال ، التي جلست أمامه مبهورة .. تكاد تغيب عن الوعي .. بل هي غابت فعلاً مع حلمها القديـــم ، الذي أمسكت بطرفه .. أخذت زينب في يدي ، وذهبنا نتجول في أنحاء الحديقة الملكية ، وعندما عدت ، حظيت بقبلة أخوية علـــى خدي من نوال ، تقديراً وعرفاناً .. لأنـــي وضعتـــها علـــى أول درجات سلم المجد ، كنت أريد أن أعرف ما دار بينهما ، لكنـــها قالت لي : صدقني يا رؤوف ،لقد كنت أشك في معرفتـــك لـــهذا المخرج ، وأنت تكلمني عنه منذ زمن .. أعتقدت أنك تسرح بي

.. وكنت أسرح معك ، لأني كنت لا أملك غير هذه اللحظة المفعمة بالأمل – ثم قالت : لكن يسري وهبه ليس له أسرة بالإسكندرية ، إنه قاهري ، ويعيش بالمعادي .. قاطعتها لأسألها : المهم ، هل حدث بينكما اتفاق .. ؟

فأعادت الشريط . وفي نفس المساء ، عادت نوال وزينب إلى القاهرة . رأيتها بعين الخيال ، قد ألقت برأسها على مسند المقعد في الديزل . وراحت تحلم بأنها لعبت عدة أدوار في أفلام مختلفة . وصارت نجمة في سماء الفن ، تبعث بسناها إلى (الصحفي) الذي أطلقها ، في كبسولة إلى الفضاء – حاولت أن أضع نفسي بجانبها – في صورة تزحم خيالي ، للمطربة ليلي مراد وزوجها أنور وجدي ، وهما في ملابس الزفاف ، فكانت صورتي مع نوال ، تغوص في غياهب جب وتختفي في الضباب الكثيف ، و دفء شفتيها ، أستشعره على شفتي ، لا يقوى على مساندة حلمي الذي يتهاوى .

/*/*/*/*/*

.. كتب الأستاذ حسن ذهني ، مقاله الأسبوعي ، تحت عنوان (المؤامرة .. والرد .. ما هي القضية ؟ رحيل قوات الطوارئ الدولية .. هل هي بداية حلقة جديدة ، من الصدام المباشر ، بين الثورة العربية ، والاستعمار الغربي ؟

قال فيه : هذا الأسبوع فيه شيئاً من عبق تصفية تركة حرب السويس ، وشيئاً من بداية حلقة جديدة من الصدام المباشر الحاد مع الاستعمار ، ونحن نتذكر ، كيف أن دلاس ، وزير خارجية أمريكا ، قال لحلفائه : سأجعل عبد الناصر يلفظ القناة ، التي ابتلعها ، مهما طال الزمن ! . وعندما طرد - جلوب - من الأردن ، تحت دفع ووطأة الثورة العربية ، وسخونتها ، قال أنطوني إيدن رئيس وزراء بريطانيا : العالم لا يتسع لي وعبد الناصر ، معاً . ونوري السعيد قال للوزراء الإنجليز عندما وصل إليهم نبأ تأميم القناة ، وهو هناك في لندن : الآن وقت توجيه الضربة القاسية لعبد الناصر ، وبشدة - لكن الثورة العربية ، اكتسحت نوري السعيد ، وسقط ، لينتقم منه الشعب العراقي ، وكان يرتدي زي إمرأة ، متخفياً ..

ومصر أصبحت أقوى ، مادياً وعسكرياً ودولياً وسياسياً ، بعد إحدى عشر عاماً من تأميم القناة .. وصدمة العدوان الثلاثي . ثبتت ، وعملقت النظام في مصر .. ذلك النظام الذي لم يُرهَب . فعضد سوريا والجزائر واليمن والعراق ، وجعل إسرائيل تفكر عشر مرات ، قبل أن تأتي بعدوان على جيرانها ..

الذي لم يتغير ويتبدل . هو اقتناع الغرب وعلى رأسهم أمريكا ، بحق العرب في الحرية والاستقلال ، إنهم يريدون وقف

عبد الناصر ، وتقليم مخالب الثورة العربية بأي ثمن .. إذ كيــف
لهذا البكباشي ، أن يساعد الثوار في الجنوب العربي ، ضد جيش
الإنجليز .. وكيف يعاون اليمن الشمالي ، ضد القبلية والتخلف .
فترتعد فرائص النظم الملكية والمشيخات .. وكيف يســتمر فــي
تعضيد ثورة الجزائر ، حتى بعد اشتراك فرنسا ضده في العدوان
الثلاثي .. والآن أخذ يؤلب عليهم ، أفريقيا ، يحاول صنع كتلــة
ثالثة ، تحت ما يسمى بالحيــاد الإيجــابي . ولا يكفيــه إيقــاظ
طموحات العرب . في الوحدة الكبرى ، وحــث قوميتــهم علــى
التعاضد .. ولعل إسرائيل قد تأملت خريطــة الأحــداث ، فــي
المنطقة واستشفت من اللحظة الراهنة ، أن الموقف صار ملائماً
لأهدافها الخاصة .. فمصر في حالة مواجهة سافرة ضد إنجلــترا
في اليمن والجنوب ، ومصر علاقتها مع أمريكا ، منذ قيام الثورة
لم تكن في عهد أي رئيس هناك ، أسوأ مما هي عليه الآن ، فــي
عهد جونسون المتعجرف ، والمُقدم على عملية انتخابات ، فلــن
يحيد عما يرغب فيه (اللوبي) . والمعسكر (الرجعي) قــادر
على التصدي الآن ، ولا يزال متماسكاً في المنطقــة العربيــة .
ويضغط على الجنوب العربي وسوريا ، بتأييد عسكري ومادي ،
صريح من أمريكا ، وإنجلترا .. وجزء من جيش مصر في حالة
انشغال واستنزاف ، بداخل اليمن . لا يمكنه - وللعرب تقــاليدهم
في الفروسية - أن يكر عائداً أمام رصاص دمدم ..
وفى ظل هذا كله ، بدا الأمر لإسرائيل ممــــهداً .. بــأن تــنزل
بالجبهة السورية ، ضربة مؤثرة ، فتحتل مرتفعــات الجــولان ،
التي تهدد توسعات مستعمراتها ، وتجعلها تحت رحمــة المدفــع
العربي .. ولم تتوانى المخابرات المصرية ، عن العمل السريــع

الفعال .. فحصلت على الخطة الإسرائيلية المؤيدة من الغــرب ، وبذلك انكشفت خططهم (فسوف تقوم إسرائيل بـــإنزال ســريع لقوات المظلات خلف الجبهة الحدودية الحصينة في سوريا .. مع التركيز عليها بالقصف الجوى .. ثم يســارع الغــرب بــالتدخل السريع وإرسال قوات دوليه تحل محل القوات السورية على تلال الجولان .. ويترك للقوات الرمزية الإســرائيلية الأمــاكن التــي احتلتها .. ومن هنا قد تتدافع الأحداث ، فيسقط النظام الوطني في دمشق .. ويبدأ تفكيك المعسكر الثوري ..!) .

لكن أوراق الاستعمار كانت أمام الرئيس في القاهرة .

وكما اعتدت إسرائيل على مصر عام ١٩٥٥ .. كان الرد صفقة أسلحة تشيكية ، وكما سحب (دالاس وايدن) عرض تمويل السد العالي ، فكان الرد تأميم القنال .. وكما أشعل المعتدون الثلاثـــة حرب السويس ، لإسقاط النظام الوطني ، فكان التفاف وصمـــود الشعب حول قيادته وتثبيتها مما أدى لانهيار أحلام (الرجعيـــة) بالداخل ، وكما تدخلت الرجعية لاعادة التخلف إلى اليمن .. فكان انتقال الجيش المصري السريع لحماية الثورة هناك ، وتحريــض بقية البقاع المحتلة من الاستعمار على الثورة في مسقط و ظفـــار .. كان لابد إزاء كشف مخططاتهم بالعدوان على سوريا ، ولوقف تحرك الحشود العسكرية ضدها .. من غلق المضايق أمام ســفن الأعداء ..

و يتساءل الكاتب الكبير حسن ذهني ..

هل ما يزال الغرب يعتقد أنه بقادر على إسقاط الثــورة العربيــة بتحريك ربيبته إسرائيل كلما جد الجد ؟..

أم أنهــم في الغــرب ، سيحاربون المعركة في غياب الجيـــش

الإسرائيلي هذه المرة ..؟

هذا هو السؤال .. فما هو الرد ؟؟

برافو عليك يا أستاذ حسن ، أخذت أقبل حروف المقـــال ، عــدة قبلات ، حتى شعرت بطعم حبر الطباعة في فمـــي .. وبـــادرت بالاتصال التليفوني به ، لأقدم له التهنئة على هذا التحليل الرائع .

كان تليفون حسن ذهني مشغولا .. لابد وأن العشرات من الكتاب والمفكرون يرسلون إليه الآن بالتهنئة .. فقـــد أوضـــح بأســـلوبه السهل الممتنع . عمق المشكلة ، التي كانت ولا تزال مختلطة في ذهني ، وكنت بيني وبين نفسي ، أتسائل في حيرة .. لماذا أغلق عبد الناصر المضايق ؟ لماذا يعجل بالصدام المسلح مع إسرائيل ؟ ومن هم وراء إسرائيل ؟ هل نحن حقاً أكبر الجيوش في الشـــرق الأوسط ؟ .. أم أننا أطلقناها لرفع الروح المعنوية ، فكنا أول من صدقها !!

وكان يقلقني أن الغرب - اللا أخلاقي -لا يحارب كما يحـــارب أهل الشرق ، بأساليب فرسان العصور الوسطى .. إنـــهم هنـــاك يتجمعون في رهط ، لمطاردة من يخرج على قانونهم ، مـــع أن أساس مبادئهم الفردية والذاتية - لكنهم يتكاتفون ، حتى يسقطوا من شذ عن قانونهم .. عشقاً لجنتهم على الأرض .

أما نحن ، فقد يجمعنا الحماس في كتلة .. سريعاً ما تتفكك ، فـــلا تبقي إلا شريحة منها، أو سلخة تتصدى للطوفان .. فـــي إيمـــان بالموت ، عشقاً للجنة في السماء .. ! !

* * *

فكري أباظة ، يكتب في مجلة المصور . التي تحتفـــي باجتمـــاع عبد الناصر بضباط الخطوط الأمامية في سيناء ..

(القاهرة .. القاهرة .. أي والله القاهرة .. وبعون الله قاهرة ومنتصرة ، على طول الخط .. وتوجه الضربات في الصميم .. وفي الوقت المناسب .. وتلقي دروسها على المخدوعين . المغرورين ، من قصار البصر والبصيرة ، وفي المقدمة - الولايات المتحدة وبريطانيا ، وذيلهما إسرائيل ..) .

ويعقب الكاتب الأمريكي الحر والتر ليبمان : نحن نستخدم الدماء والنار الآن .. لنثبت أن سياسة - أمريكا - في السلام العالمي ، مجرد دخان في الهواء .. ! !

* * *

أثناء صعود ثابت أفندي ، إلى شقته الخواجاتي ، في عمارة سان استفانو ، كان حسنين البواب ، يقوم بمسح بلاط السلالم ، بخيشة مبللة بالماء ، وكان يغمسها في الدلو الصاج الذي يرافقه .. كان يهبط من أول درجة عند باب السطوح ، في الطابق الرابع ووصل حتى بسطة الطابق الأول العلوي - كان حسنين البواب غاضباً من ثابت أفندي .. الذي أثار ضده سكان العمارة ، وأجبره على أن يقوم بغسل ومسح السلالم يومياً ، قال له : أنا أغسل السلالم وأمسحها ثلاث مرات في الأسبوع .. شخط في وجهه وقال له : السلالم وسخة يا حسنين .. أنت معين هنا بواب ، مهمتك غسل السلالم والحفاظ على رخام البيت نظيفاً ، ليس مهمتك قضاء شئون السكان .. فليستخدموا خدماً لهم .. والعمارة تحت إشراف الحراسة - كان يعني بذلك أن الحراسة ، تعني الحكومة ، والحكومة ، هو جزء منها والمدافع عن مصالحها .. إنه الرجل المتفرغ للعمل السياسي ، بقسم الرمل ، ولا شغلة ولا مشغلة له ، إلا رعاية مصالح الشعب .. !

كان حسنين البواب ، يحفظ لثابت أفندي هذا الموقف .. والسلالم والرخام الذي كان في لون التراب ، بعد أن غسله كل يوم .. صار أبيض في لون اللبن الحليب ، وثابت أفندي صار معجبا بالرخام ، وبالولد حسنين البواب الذي (سمع الكلام) وقام بالمطلوب .. كان في دخيلة نفسه ، يريد أن يصل إلى ترضية معه ، كأن يقول له : الله ينور عليك يا حسنين ، فيرد عليه حسنين ... ، فيدفع نحوه بمشاعره الجديدة ، ويمنحه شيئاً من المال .. لكن حسنين عندما رآه صاعداً تنحى جانباً ليصعد ثابت أفندي إلى شقته بالطابق الثالث ، وقد حمل الدلو من علاقته بيد ، واليد الأخرى تمسك بالخيشة التي تقطر ماءاً .. كان حسنين يجمع ملامحه المقطبة ، في الثلث الأخير من وجهه المستطيل ، ولا يزال غاضباً ، ولا يرغب في أن ينظر نحو ثابت أفندي ، الذي قطع عليه ارتزاقه من خدمة بعض السكان .. خدمات شخصية مقابل نفحات ، لكن شهر مايو كان على وشك الانتهاء ، وسوف يحضر حسنين بنفسه إلى شقته ، بإيصال الأجرة .. خلال يومان أو ثلاثة على الأكثر .. وأعتاد أن يمنحه (الهبة) المقررة مع الأجرة .. كان ثابت أفندي قد تمهل قليلاً .. بل أنه توقف للحظات يود أن يعرب لحسنين عن إعجابه بالرخام ، الذي أظهرت النظافة المنتظمة صقله ولمعاته ، ويتغزل قليلاً في الرخام الذي يعجب به ، لكن أمام تكشيرة حسنين البواب ، الذي لم يتفوه بشيء . وبالعافية رد السلام مقتضباً . عندما توقف عن العمل ، في انتظار أن يخطو صاعداً ، ليواصل عمله . قال بصوت خافت : " كويس يا حسنين .. الله ينور عليك " . لكنه كان يصعد .. وحسنين لم يرد ، وانحني يعمل في عصر الخيشة ، والانهماك

في عمله ، وكأنه لم يسمع . " حسنين لا يزال غاضباً ، ما عليك غداً ستأتي إلى باب شقتي وأسترضيك " بعد قليل خفقت دقات حذاء ثابت أفندي ، الذي صعد على درجات السلم .. ثم فجأة سمع حسنين البواب ، شيئاً يقرقع وتأوهات واستغاثة مكتومة ، على إثر ذلك ترك حسنين ما في يده ، وصعد مسرعاً . يتهب الدرجات في خطوات واسعة .. وعند بسطة الطابق الثاني ، وجد ثابت أفندي مكوماً ، يئن ويتوجع .. لقد انزلقت قدم ثابت أفندي في نعومة الرخام الإيطالي المصقول ، اختل توازنه وتعثر ، سقط على مقعدته ، ثم تدحرج المسافة من الطابق الذي يسكن فيه ، تتلاطمه حواف الدرجات ، حتى استقر أمام باب شقة (ضابط مباحث التموين) ، بالطابق الثاني .. انفتحت بعض الأبواب ، ثم أغلقت . وتركوا لحسنين البواب مهمة حمله وحده إلى شقته ، وربما آثر البعض عدم الظهور ، الذي قد يسبب حرجاً للرجل المعتد بنفسه ، والذي سقط من طوله . على نفس السلالم الذي كان يشكو بأنها ، صارت خشنة وترابية ، ولا سلالم البيوت البلدي . حمله حسنين البواب في ضيق . لم يكن يستطيع أن يعبر عن شماتته ، وصل به إلى باب مسكنه . وأخذ يدق الجرس ، والسيدة أم إسماعيل من الداخل ، تحتج على هذه (السربعة) التي لا لزوم لها لفتح الباب .. ولكنها عندما رأت زوجها محمولاً على كتف حسنين البواب ، لا يقدر على نصب طوله .. إجتاحها كثيراً من الهلع ، وتلعثمت . ولم تدر ماذا تقول . طمأنها حسنين ، في كلمات أسوانية لا تزال محملة بالعتاب .. وكأنه يقول لها .. انظري لقد شن حملة ضدي من أجل غسل السلالم يوميا فكان هذا

جزاؤه .. ليتنا ما غسلنا السلالم .. وما كان الأفندى انزلق فوقها ليسقط هذه السقطة .. احمدوا ربنا أن لاجروح ولا دماء ، اتقوا الله في البوابين الفقراء أمثالي ...."
ساعدها حسنين البواب في توصيله إلى حجرة النوم .. طرحه على الفراش وكان ثابت أفندي يحاول إزالة انزعاج زوجته ، وتهوين الأمر عليها .. طلبت من حسنين سرعة استدعاء الطبيب المقيم في نفس العمارة .

لكن ثابت أفندي من بين آلامه التي يحاول السيطرة عليها كان يحاول إثبات أنه (كويس) ، لا يريد أن يترك نفسه نهباً لمشاعر الألم المهين .. قال : لا داعي يا حسنين .. أنا سليم والحمد الله على كل حال .. والتفت إلى رئيفة .. إذ كان لطول العشرة قد نمت بينهما لغة العيون ، استجابت ، وبحثت في جيب جاكتته عن نقود .. ومدت يدها بربع جنيه لحسنين ، تمنع حسنين قليلا ، لكن ثابت أفندي كان يرجوه أن يأخذه,يغفر له ..

دس حسنين ورقه النقود في جيب الصديري .. وأنصرف وهو يتمني " طول السلامة للأستاذ ..! "

قال ثابت أفندي لرئيفه ليوقف انسيال انزعاجها: شدي من رجلي الجزمه يا أم إسماعيل ، وغطيني يا أم إسماعيل . أنام شويه وسأقوم مثل الحصان ..!

قالت رئيفه كثيرا من الكلمات التي تعني بها الجيران وعيونهم المستديرة .. ثم مالت على رأسه تستعدل له الوسادة وتهمس في أذنه : أبعث لإحضار طبيب يراك ويطمئنا ..؟

اضطر ثابت أفندي أن ينهرها ، يحمل صوته شيئا من القوة والسخط ..

– قلت لك ارتاح شويه ، وسأقوم مثل الحصان ..
كانت رئيفه تقوم بإلقاء الملاءة على بدنه ، كانت تتــأمل تقــاطيع وجهه ، وقد أغمض عينيه .. يغالب الألم المبرح ، في كبرياء .
والدموع تتجمع في عينيها ، ثم تنهمر ، دون نهنهة ..

//*/*/*/*

مساء يوم ٢٨ مايو .. انعقد المؤتمر الصحفي بالقصر الجمهوري .. وانهالت الأسئلة من مندوبي الصحف العالمية ، يسألون الرئيس ، حول مشكلة غلق المضايق أمام الملاحة الإسرائيلية .
وموقف مصر من ردود الفعل . التي تصدر من عواصم الغرب أمريكا وبريطانيا وكندا .. وحول قرار سحب قوات الطوارئ الدولية ..
قال الرئيس : المشكلة الحقيقية تتلخص في العدوان الدائم الذي وقع ولا يزال يقع ومستمر وقوعه على وطن من أوطان الأمة العربية .. وعلى شعب من شعوب الأمة العربية .. فلسطين وشعب فلسطين .. وأن المشكلة التي يجب أن تدور حولها الأسئلة يا سادة ، هي إسرائيل والذين هم خلف إسرائيل .. القفاز واليد التي بداخل القفاز ..
مصلحه الأمة العربية ومصالح الرأسمالية العالمية ..
ثم تحدث الرئيس عن احتمالات السلم (شعب فلسطين يجب أن يعود إلى أرضه .. والسلام يجب أن يقوم على العدل .. لا يجب أن يقوم على الاغتصاب والبلطجة .. لانقاش مع إسرائيل قبل أن يحصل شعب فلسطين على كامل حقوقه ، ويرفع عنه المجتمع الدولي هذا الظلم . وعلى هذه الأسس .. سنقبل عودة لجنه الهدنة المشتركة ، ذلك إذا أعيدت " العوجة " لأشراف الأمم المتحدة ..
ثم ختم الرئيس حديثه قائلا (أننا سنقاوم أي تدخل بكل ما نملك من قوة .. إذا أرادت أمريكا أن نتدخل تدخلاًمسلحاًلصالح إسرائيل سندافع عن سيادة شعوبنا .. .. وقوات الطوارئ انتهت مهمتها ولن تعود .. ولن يرفع الحظر على السفن الإسرائيلية في

المضايق ، إلا إذا نوقشت المشكلة من طرفيها .. وأهم طـــرف فيها ، هو حق الشعب الفلسطيني "

كان عبد الناصر جاد الملامح ، وصوته يحمل كثيرا من المرارة .. ولكنه ابتسم وهو يقول :

" نحن لا ننتمي أن تحدث مواجهه بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية .. نحن لن نطلب التدخل .. ولكن نترك ذلـــك لتقدير الدول الصديقة نفسها .. وإذا أرادت إسرائيل الحرب فأهلا بالحرب .. والبترول سيكون في المعركة .. متروك مواقفه للدول العربية التي تملكه .. فإذا توانت الحكومـــات العربيـــة ، فعلـــي الشعوب العربية ، أن تقوم بواجبها وتدافع عن حريتها .. "

* * *

وشمس بدران وزير الحربية ، يقدم للرئيس بعد عودته من زيارة الاتحاد السوفيتي تحذير من كوسيجين إلى أشكول حتى يكف عن القيام بأي عمل استفزازي .

وبدء ترحيل قوات الطوارئ الدولية إلى مواطنها ..

و جونسون لا يقدم الوعود فقط لإسرائيل .. بـــل يشحـــن لـــهم البترول والأسلحة الحديثة ، في مظاهرة إعلامية ، ليجبر القاهرة على إعادة التفكير في فتح المضايق ، أمام السفن الإســـرائيلية .. ولا يعلق على ما جاء في حديث الرئيس المصري ، حول حقوق الشعب الفلسطيني وقرارات الأمم المتحدة المعطلة . التي تتجاهل إسرائيل تنفيذها ..والصحف تصدر بعناوين (ذهبت قواتنـــا إلـــى سيناء لتردع العدوان إذا بدأ .. وهي قادرة على أن تقوم بواجبها بشرف وقوة وأمانة . كنا قبـــل ٥٦ لا نســـمح لمـــرور الســـفن الإسرائيلية ، وتفتيش سفن أمريكا وبريطانيا وفرنسا المتجهة إلى

إســـرائيل ، نحـــن الآن نزيـــل آخـــر آثـــار عـــدوان ١٩٥٦ .. الفلسطينيون ، لهم حق مباشرة حرب التحرير بأنفسهم ليحـــرروا قراهم من يد المغتصبين .. اشكول لا يزال يهدد بالزحف علـــى دمشق وإحراج عبد الناصر ..
والجنرال ديجول يقف من الأزمة موقفاً نزيهاً ، محايداً ، ويطالب بالنظر إلى مشكلة الفلسطينيين ، في نطـــاق حـــل أزمـــة غلـــق المضايق .. متضامنا مع موقف القاهرة ، ورغبات العرب ، وهو ما تتجاهله بريطانيا وأمريكا .. ويسأل : إذا ماكان لإسرائيل حق الملاحة البحرية .. فأين حقوق عرب فلسطين ؟
أحاديث عبد الناصر تتوالـــى أذاعتـــها بصوتـــه فـــي الراديـــو والتليفزيون (أنا أقول : أن الولايات المتحدة الأمريكية أكبر دوله في العالم .. وأقوى دوله في العالم ، أغني دوله في العالم ، يجب أن تكون في تصرفاتها كبيرة . وغير منحـــازة انحيـــازاً أعمـــى لإسرائيل .. أن تكون عادلة .. وطبعا الولايات المتحدة ، تستطيع أن تقوم بدور كبير في الشرق الأوسط ، وهو دور الصديق مـــع العرب ، وليس الصديق لإسرائيل فقط .. والمعادي للعرب ، مش المنحاز لإسرائيل ، والمتنكر كلية للعرب ، مش المسلح لإسرائيل بكل أنواع الأسلحة الفتاكة ، والإهمال الكامل للعرب .. أمريكـــا بسمعتها النهار ده في العالم . ليست هي أمريكا بســـمعتها بعـــد الحرب العالمية الثانية ..!)
وعبد الناصر يلتقي بنواب الشعب في مجلس الأمة ، ويعلن (بعد أن أعدنا الحالة إلى ما قبل عام ١٩٥٦ ، لابد أن الله سيســـاعدنا لنعيدها إلى ما كانت عليه عام ١٩٤٨ .. لاترهبنا تهديدات أمريكا وبريطانيا .. تلقيت رسالة من كوسيجين بأن الاتحاد السوفيتـــي

سيقف معنا ولن يسمح لأي دولة كبرى بالتدخل ..!

وأنور السادات رئيس مجلس الأمة يعلن أمام عبد الناصر (باسم أعضاء المجلس . قرار مجلس الأمة ، بتفويض رئيس الجمهورية في إصدار قرارات جمهورية لها قوة القانون ..!)

وكالات الأنباء تطير أخباراً عن استعدادات إسرائيل للحرب . والعسكريون البريطانيون ينصحون إسرائيل باستغلال عنصر المفاجأة ، وضرب المطارات المصرية ، لإمكان شل قدرة الطيران المصري في عمل غطاء للقوات العربية الكبرى في سيناء .. وينصحون ، بأن تلجأ إسرائيل إلى الحرب الخاطفة السريعة ، وإلا تفوق العرب على إسرائيل في حالة استمرار الحرب الطويلة المتسعة ، ويعددون إمكانيات اليهود وعتادهم وإمكانيات العرب وعتاد الدول العربية جميعا ، المؤيدة لموقف القاهرة وكذلك المعارضة .. ويميلون إلى أن الساعات الأربع والعشرين الأولي ، ستكون حاسمة بالنسبة لإسرائيل .. أما إذا أفلتت منها المفاجأة ، وأمتص العرب الضربة الأولي ، ستتعرض إسرائيل المحدودة المساحة ، للإبادة . وقد يتعرض العالم لأزمة كبرى ، لأن الغرب وأمريكا لن يسمحا بإبادة إسرائيل .. كما أن " الشرق " لن يسمح بتدخل سافر في المعركة ، محمد حسنين هيكل رئيس تحرير الأهرام .. يكتب في مقالة (بصراحة) .. ويعرض أفكار العسكرية البريطانية ، والتي ترى بأن جيش العربية المتحدة ، قادراً على امتصاص الضربة الأولى .. ورد الصاع صاعين .. !

وثمة توصيات من العسكرية الأمريكية ترددها وكالات الأنباء .. بأن تنقل إسرائيل ميدان المعركة بعيداً عن أراضيها الضيقة .

وحدودها غير الملائمة .. ! !
وحشود بحرية بريطانية وأمريكية ، تتجمع في البحـــر الأبيـــض والأحمر .. إذ أن الغرب يفـــترض أن إســـرائيل ، لا تســـتطيع مواجهة البحرية المصرية .. والأسطول السوفيتي ، يرسل قطـــع منه لعبور مضيق الدردنيل ..
وزكريا محيي الدين ، يوضح طريقة التطوع والتدريب والتنظيـــم للقوات الشعبية .. !
وثروت عكاشة ، يمنع عرض أفـــلام المغـــامرات والجاسوســـية الأمريكية والبريطانية ، التي تظـــهر أبطالـــها مـــن المخربيـــن والجواسيس ، وعملاء دول الغرب ، في صورة المنتصرين دائماً الذين لا يقهرون .. لكسر العامل النفســـي ، الـــذي يشيـــد بـــهذه البطولات الخارقة ، ضد الكتلة الشرقية . وعلى عكس ما ظهرت حقيقة الأمر في واقع التلال والغابات الفيتنامية . !
وأم كلثوم تسجل " الله معك " من كلمات صلاح جاهين ، ولحـــن رياض السنباطي .. راجعين بقوة الســـلاح .. راجعيـــن نحـــرر الحمى .. راجعين كما رجع الصباح ، من بعد ليلـــة مظلمـــة .. جيش العروبة يا بطل .. الله معك .. !

* * *

سافرت إلى القاهرة لصرف مرتبي .. التقيت بالأستاذ حسن ذهني وجدته متشائماً وقلقاً على غير العادة .. أخذت أشيد أمامه بمقالـــه الأخير .. وأذكر مقاطعاً ، وأفكاراً منه .. اندهشت إذ وجدته في حقيقة الأمر يخالف الإجماع الشعبي الملتهب ، ويقف في مواجهة الحماس الذي يأتي من كل مكان ، لاقتراب تحرير فلسطين مـــن العدوان الدائم على أرض العرب .. !

تركني أتحدث عن تحليله الرائع للأزمة .. انتظر حتى فرغ مكتبه من الزوار ، .. كان قد أشار إلى أن أبقي .. أغلق قلمـــه الحـــبر ووضعه في جيبه الداخلي .. عندما تحدث ، قال لي أنه يرغـــب في واحد قهوة دوبل .. ونحن وحدنا .. تحدث وكأنــــه يخـــاطب نفسه :

– عبد الناصر يدير المعركة ، جالساً على مقعد وثـــير وأمامـــه رقعة الشطرنج ، ولا يضع في اعتبـــاره ، أن هنـــاك صدامـــات عسكرية حقيقية ، يحتمل وقوعها .. وأن الصدام هذه المرة ، لن يكون هامشياً على الأطراف ، كما حدث عام ١٩٥٦ ..
عبد الناصر يحسبها ، واضعاً في اعتبار التوازنـــات العالميـــة ، ويقدر ، أن معظمها سيكون في صالحه .. لكن هـــذا كـــان منـــذ إحدى عشر عاماً .. يجوز ، نحن الآن في ١٩٧٦ .. أنا كنت في روسيا .. الروس لديهم مشاكلهم المتشعبة ، والمزمنة ، والغـــرب يستطيع أن يزيد من حجمها وكثافتها .. وثمة قلاقل في المجـــر . يتلهى بها الجيش السوفيتي .. ومتاعب أيدلوجية مـــع الصيـــن .. وفشل ذريع في زراعة القمح ، وقرارات بطيئة هنـــاك ، تســير سير السلحفاة .. تأتي متأخرة ، كعسكري البوليس العجوز ، يأتي بعد أن تنتهي أحداث المعركة ويخمد أوارها ، ومـــن المعـــروف لأي قائد (نصف كم – نصف لبة) إن مـــن يضـــرب ضربتـــه الأولى ، سيقترب نصف المسافة من الفوز ، إذ أن العالم صـــار مثل الحارة الشعبية .. عشرات المتداخلين سوف يندفعـــون بيـــن المتشاجرين ..

وعبد الناصر .. وهو عائل المصريين ومحط آمالهم ، يقوم مبكراً ، ليشترى لنا نحن أولاده ، الطعام ولوازم الحياة ، كأي أب قبـــل

أن يتفرغ لعمله .. مما جعل (الأولاد) في واد آخر .. وقد أخذ أبوهم على كاهله عبء إعاشتهم ، انه لم يدرب الأولاد ، حتـــى الذين كبروا منهم على المشاركة ، وتحمل المسئولية لمعاونتـــه ، في حالة انشغاله ، ليتفرغ لما هو أهم من الوقوف فـــي طوابـــير الحصول على الطعام .. ألف مرة قالوا ، ستسلم الراية ليتـــدرب كل إنسان ، على مسئوليات الوطن . ولم يسلم أحد تلك الراية .. بل إن الراية مفقودة .. وربما أخفاها أحدهم عن الشعب الفاعل .. لعلك تذكر يا رؤوف ، عندما تم توزيع السلاح في ١٩٥٦ علـــى الشعب .. ربما كنت صغيراً في هذا الوقت .. هذه المعركة يتـــم تدريب الشعب عليها بالحماس ، وليس على حمل السلاح . آلاف المتطوعين ، بل مئات الآلاف ، يكتبون الاستمارات ، ويقفون في طوابير ، شمال ، يمين ، إلى الأمام ، مارش ، لقد تـــم اســـتبعاد الشعب عن معركته الأساسية . ولم يعد مطلوباً من الناس ، إلا أن يجلسوا في مقاعد المتفرجين .. ليشاهدوا أحداث المعركة ، كأنهم يشاهدون مباراة بين فريقين ، أحدهما .. بني آدم غلبان ، والثاني وحش مدجج بكل أسلحة الدمار .. و .. يا رؤوف ، أراك تنظـــر نحوي مفجوعاً .. تطل من عينيك الريبة والحزن .. هل توافقني أم أنك ترى أنني انهزامي ، وقلقي ليس له أساس . ؟

. . . . .

بكل أحاسيس وعنفوان الشباب .. بكل قوة الحلم القومي ، الـــذي لاح في الأفق .. وقفت معارضاً في الجهة المقابلـــة ، للأســـتاذ حسن ذهني ..

قلت : إن اشتراك أمريكا وبريطانيا العلني ضدنا مســـتحيل . وإذا انبرت لنا إسرائيل وحدها في الميدان ، مهما كان في جعبتهـــا

من أسلحة وعتاد ، فإن معركة وحيدة من سلسلة المعارك ،
المفترض أننا سنخوضها ضدها .. ستكون كفيلة بالقضاء عليها .
نحن قد نخسر عشر معارك ، ولن نتأثر كثيرا بسبب عمقنا
الجغرافي وأعدادنا .. وقد يبادر المترددون في الدخول إلى حلبه
الصراع .. والشعوب العربية لن تقبل الهزيمة من
الصهيونية! غمغم الأستاذ ..: هاأنت تردد نفس النغمات السائدة
التي يرقص عليها الجميع ، بأن ننتظر لامتصاص الضربة الأولى
، تنهد وقال : الضربة الأولى هي الأخيرة يا رؤوف ..
وضع يده على كتفي وأخذ يتطلع في عيني .. حائرا.. كان قلقا
لأنه فشل في أن يضمني إلى صفه .. وكنت في هذه اللحظة
أتطلع أليه حزينا ، بأن يصاب الأستاذ حسن ذهني .. المناضل
الشجاع .. بالهزيمة قبل أن تبدأ المعركة وكنت أمنع نفسي –
بشدة – من التفوه بحقيقة إحساسي نحوه ، في تلك اللحظة ..
وربما كان واضحا على قسمات وجهي ، نوع من الامتعاض ،
إذ استشف ما في نظرتي نحوه فقال دون النظر إلي :
– أتمني من صميم فوادي ، أن أكون في الجانب الخطأ .. هذا
أهون ألف مرة من انهيار هذا النظام الوطني القومي .. إذ أنني
أخشى أن التركيبة الاجتماعية ، والوعي الأحادي ، قد يقلب
حركة الميزان فترتفع كفة عن كفة .. و .. و..
وأغلقت أذناي عن سماعة .. !

//*/*/*/*

(١٣)

شعرت بالضيق .. عندما أوقفني الأستاذ حسن على حافة الخوف والتشاؤم ، وأنا أري وأسمع من حولي ، ما يتناقض وتحليلاته الانهزامية ، ولكني بقيت متصلبا ، في الركن الذي تقف فيه الأغلبية .. الرجعيين والحاقدين وطلاب الحكم في مصر الذين يتمنون هزيمة عبد الناصر .. لن أسمح لمنطق الأستاذ الهادئ الحاد ، ينساب ليشق نفسي كسكين ، ليصل إلى عقلي ، ويعشش فيه أو يلتف حوله ..

في نوع من التحدي الذي لم أجد له وقتها تبريرات عقلية واجبه وجدت نفسي أرد على أقواله التي سرها لي ، ولم أذكر أنه القائل .. ولكن التجمعات كانت كثيرة والخطب مسموح بها في كل تجمع ، بدون برنامج سابق ،، وشاهد (الأستاذ) إحدى هذه الاجتماعات الجماهيرية .. كنت فيها أفند تحليلاته وأرد على كل فقرة منها .. وكان لا يبتسم .. أرسل في طلبي ، وسألني إن كنت سأسافر إلى الإسكندرية .. في الواقع ، كنت أزمع السفر ، ولكني لم أحدد الوقت ، وكان ذلك لا يزيد عن يوم أو يومين .. قلت له على الفور : لن أسافر إلى الإسكندرية .. وجودي في العاصمة ضروري وله ما يبرره .

أبتسم في وجهي وقال : العكس هو الصحيح يا رؤوف .. العاصمة مكتظة بالجنرالات المدنين ، الذين فجأة ، صاروا خبراء في فنون الحرب الحديثة والقتال .. بينما الإسكندرية تخلو منهم هناك .. !

شعرت برنة ساخرة في حديثه .. تغابيت عنها .. فهو لم يعاتبني على ما كنت أردده ، ضد الإنهزاميين والرجعيين .. وكيف ؟ أن

أقصى اليسار ، يلتقي مع أقصى اليمين ... !
دعاني إلى تناول الغذاء معه .. إذ أن الدكتورة قد صنعت له ، صينية البطاطس ومحشى ورق العنب ، برغم مشاغلها ، واشتراكها في المؤتمرات الشعبية والندوات .
- إنها مثلك يا رؤوف ، تكاد تُدخل المعركة إلى داخل الشقة .
نظرت إليه دون تعليق .. كنت أخشى أن يغضب ، إذا تكلمت بما في نفسي .. على الفور ترجم نظراتي بذكاء ..
قال : هي مثلك مع التيار العام .. متفائلة ، وترى أن المعركة القادمة ، ستكون آخر المعارك .. يلتحم المشرق العربي ، بالمغرب العربي . تمهيداً للوحدة الكبرى ، وقيام الدولة العربية الموحدة .. أو الوحدة الاقتصادية الرابعة في العالم ..
خيل لي أنه يحاول أن لا يحمّل صوته شيئاً من السخرية .. فاكتفيت بأن توقفت وشكرته على دعوته .. وأسفت ، أنني مشغول .. وأرسلت تحياتي إلى السيدة الدكتورة ، التي رغم اشتراكها في (المعركة) طبخت له صينية البطاطس ، وعملت له محشى ورق العنب ، فلم يتمسك بي .. تركني أنصرف . ومشيت . وعندما تلفت خلفي ، وجدته لا يزال واقفاً ، ينظر في ظهري ، وكأنه يتأمل شيئاً نقش عليه .. !

* * *

بحثت عن نوال فتحي .. لم أعثر عليها في الأماكن التي أعرفها وتركت لها خبراً في الأماكن التي يمكن أن تتردد عليها .. كنت أزمع العودة إلى الإسكندرية في نفس المساء ..
وجلست قليلاً في إدارة التحرير .. .
انشغلت بتصفح الصحف ، في انتظار تليفون من نوال ..

خالد محمد خالد ، يوجه خطاباً مفتوحاً إلى الرئيس جونسون ، ذكرني بخطاب عبد الرحمن الشرقاوي للرئيس الأمريكي الأسبق ، يقول له فيه : " لا تضع نفسك وشعبك بين فكي القدر يا جونسون ، لا تكن الرجل الذي تجئ منه العثرة ، يا جونسون ، لا تقتلع غرس الرب يا جونسون ، وتبقي على غرس الشيطان يا جونسون "

ويرسل برقية مفتوحة إلى عبد الناصر : " امض قدماً على الطريق الذي ينتظرك عليه مائة مليون عربي ، ومعهم حقهم في القدس "

وتعديل في وزارة إسرائيل .. تعيين الجنرال موشي ديان ، في منصب وزير الدفاع .. وقد تم استدعاؤه على عجل ، من رحلة دراسية للحرب في فيتنام .

أخيراً جاء التليفون ، الذي كنت أنتظره بفارغ الصبر .. كان صوت نوال فتحي ، غاضباً وساخراً ، ويقطر ألماً ومرارة ..

ماذا حدث يا نوال قلبت عليك الدنيا ؟..

قالت : ولماذا تبحث عني يا أستاذ رؤوف ؟ ياذو القرنين ، هل تريدني هذه المرة لنفسك ، أم لتبعث بي لإنسان سافل آخر .. ؟

ألجمتني المفاجأة ، حتى أني رفعت السماعة عن أذني وأخذت أنظر في البوق ، وعدت أضعها على أذني .. أريد أن أفهم ماذا حدث .. كانت تتحدث عن سفالة ونذالة المخرج (يسري وهبة) لقد أعتقد أنك قدمت إليه ، مومس ، يا أستاذ رؤوف ، وليست فنانة ، وتعمل صحفية . و ...

قلت لها منزعجاً : أخبريني ماذا حدث بالضبط يا نوال ؟ قالت في حزم، وبصوت مغموس في الألم : أنت تعرف ماذا حدث

يأستاذ ، وتعرف تماما ماذا يحدث في تلك الأحوال .. لا تستهبل .. هل قبضت الثمن .. إتفوو...
وانقطع الخط دون أن أستدل منها عن المكان الذي تتحدث منه .. سألت نفسي ماذا فهم (الكلب) عندما كنت أحدثه عن وكلاء الفنانين في أوربا ، كمعلومة أتباهى بها .. وأجورهم ، ونسبتها . هل ؟ ربما ..
" يخرب بيت أهلك " ، كيف يمكن لشخص يضيق بروحه . يسخط عليها ، فيتركها وحدها تجتر الألم ! ويمشي بعيداً عنها ..

* * *

عدت في المساء إلى الإسكندرية ، مع شعور عميق بالهزيمة ، والحسرة .. كنت أتعجل سرعة القطار ، لأهرب من القاهرة .. ليكون بيني وبين نوال .. مسافة أطول ، كنت كسير النفس ، وممتلئ بالحنق ..
وجدت والدي في حالة سيئة ، ويعاني آلاماً مبرحة ، من انزلاق غضروفي ، أدى إلى ما يشبه الشلل في ساقيه .. وأمي تجلس تحت قدميه تغمغم بعدودة شعبية ، تقال على أثر فقدان الأعزاء ، أو الأشياء الغالية .. ورأيته يقضي حاجته الضرورية ، وهو طريح الفراش ، يئن ويتوجع ..!
كان عدداً من زملاء التنظيم السياسي قد زاروه ، وكانت المناقشات بينهم تدور في معظمها ، حول المرض والمرضى وأنواع العلاج والأطباء ومهارتهم في الشفاء ومن برء من الانزلاقات ومن تأثر بها لمدة طويلة ..وكان أبي حزيناً ، لأن من كان يتوقع أن يقوموا بزيارته – وهو الذي يحافظ على المجاملات ويقدسها – لم يأت أحد منهم لزيارته .. وقيل له ، أنهم مشغولون

بالمعركة الكبرى عنه .. كما أن الطبيب الكبير الذي كان يهتم - من تلقاء نفسه - بعلاج السياسيين ، في لجنه القسم ، من الصداع والمغص وصدود النفسي عن الأكل والشرب .. ويمنح الكوادر السياسية - مجانا - الدواء المستورد له كعينات من الخارج ..
ولا يتقاضى منهم ثمن (الفيزيته) التي كانت غالية الثمن ، في عيادته بمحطة الرمل ، وأغلي إذا ما أنتقل بنفسه لزيارة المرضى بمنازلهم .. لم يأت إليه ، عندما طُلب لإلقاء نظرة على ثابت أفندي عبد الغفار .. أعتذر بأنه مشغول - وهذه أول مرة يتجرأ ويعتذر ، لم يؤجل الزيارة إلى وقت لاحق ، قال في ثقة : ممكن استدعاء طبيب آخر له ، لأنه لن يفرغ من مشغولياته لعدة أيام قادمة ..! وعندما ألح (المريض) ، بأن حالته خطيرة ، ولا يطمئن لطبيب سواه ، ذكر له بعض المسكنات بالتليفون .. فلم يعرف والدي كيف يعيد نطق حروفها اللاتينية ، كما أن أمي لم تحفظ هذه الكلمات الغريبة على مسامعها .. تمت باستدعاء طبيب شاب من معارفي .. وقع عليه الكشف الطبي ، وكتب له بعض المسكنات ، وأوصى بضرورة نقله إلى المستشفى ، لإجراء الأشعة على ظهره والمقعدة ..
لكن والدي ، كان لا يثق في الأطباء الشبان ، وينتظر زيارة طبيب التنظيم ، الذي يعالج الليثي عبد الناصر ، وكمال الدين رفعت ، مسئول الدعوة والفكر ، إذا ما حل بالإسكندرية ..!
يعالجهم بصفته (اشتراكي) ، ومرشحا لمنصب سياسي ، وكان يلاحق (المسئولين) ، وحقيبته الطبية في شنطة سيارته ..
في صباح اليوم التالي ، استيقظت مبكراً ، واتصلت بنوال في القاهرة ، ردت عليّ خالتها ، وطلبت مني الانتظار حتى توقظها

من النوم .. لكن بعد مرور عشر دقـــائق .. اضطــررت إلـــى إغلاق الخط . وعندما كنت أفرد جسمي علـــى الكنبــة .. كنبــة والدي المفضلة .. أخذت أنظر من أسفل إلى الجدار ، والبراويز المعلقة عليه ، نظرت إلى وجه الرئيس جمال عبد الناصر ، كنت أظن أنه كان يبتسم في الصورة .. لكني تبينت أنه لا يبتسم .. بل ينظر نحوي في عتاب ، جامد الملامح ، وشئ من الحزن يطـــل من عينيه .. كان يعاتبني .. كيف ألقي بالبنت الشعنونة ، نـــوال فتحي .. إلى هذا الذئب العائد من أمريكا ، وأنصرف .. أنصرف دون أن أوصيه بها خيراً .. دون أن أذكر لـــه بأنـــها فتـــاتي أو خطيبتي ..

في أمريكا ، يباح لهم كل شــئ ، إلا الاعتــداء علـــى الأمـــلاك الشخصية .. ربما كان ذلك سيجعله يتعامل معها ، كفنانه محترمة .. أو يردها دون أن ....

ليتني أعرف ماذا حدث تحديدا ؟ وهل مكنته – الهبله – من نفسها .. إنها عاطفية وقد تكون سمحت له بأن ...

لا .. لا يمكن أن تفعل ذلك مع كل من هب ودب .. ربما يكـــون قد لجأ إلى البروفات والاختبارات ، ليحتويها .. أساليب الفنـــانين كثيرة .. فإذا كان الملاكم ، لا بد وأن يتخلى عن عظمة أنفـــه ، فإنهم يعتبرون الجسد ، أداة من أدوات العمل . يا ربي .. اللعنـــة عليك ، يا يسري .. بل اللعنة على محاولاتي المتســـرعة ، دون دراسة أو معرفة وثيقة بأمثالك ، أقدمها لك كهدية .. ثم أتحـــدث عن عمل الوكلاء هناك وأجورهم .. ونسبتهم ، وكأني أعقد معك اتفاقاً ، بأني سألعب دور النخاس ، أنا المغفل ، وليس هو .. ربما اعتقد .. أنني أرفه عنه ، بعد حرمان لأربعة سنوات ، هي عمر

بعثته هناك . وقد فهم أني أترفق به ، وأقدم لـــه أكلــة شرقيــة مسبكه ، تكسر طعم المأكولات الغربية ، غير الحريفة ....
نفخت الهواء ضائقاً ، وكنت أرتعــد مــن الغضــب والقــهر .
واعتذرت للسيد الرئيس ، وأخذت انظر حولي .. وجدت ، ربمــا للمرة الأولى ، أن مساحة الكنبة واســعة .. وأن حجـم ولــدي العادي كان يملؤها .. أما أنا ، فكنت مجرد خط رفيع . مجموعة متراصة من الأصفار ......

لم ينقذني من هواجسي ، إلا حضور أخي إســماعيل .. ومعــه زوجته . التي على الفور ، خلعت ملابس الخروج ، وارتدت ثوبا آخر ، يتحمل عملها في تنظيف الشقة .. وإعــداد الطعــام فــي المطبخ .. وكانت أمي تقدر هذا التعاون وتقول : إذا خلفت بنت ، لن تكون في حنيّة فؤاده .. أم الأولاد الذكور ، شقية ..

عندما دخل إسماعيل ليطمئن على ثابت أفندي .. كان أول شــيئ قاله والدي ، عندما فتح عينيه : طمني يا إسماعيل ، سعيد سافر ، وهو قلق .. ضروري أن ترسلوا إليه ، ليطمئن ، أن كــل شــيئ على ما يرام ..!

لم يذكر له إسماعيل ، أن اتصالاً تليفونيا قد تم بينه وبين الملازم أول سعيد ثابت ، وانه طمئنه على مسار الحادث .. وأنــه دبــر المال من مدخرات عم شعبان ، وحصل على رضــاء الأســطى جابر .. وسعيد تعهد بأنه عند حضوره ، سيسحب من مدخراتــه هذا المبلغ ، ويسدد عم شعبان .. وأن سعيداً ، شد الرحــال مــع كتيبته إلى داخل سيناء . ويتعذر معرفته ، لموعد الإجازة القادمة ، والحالة قصوى .. رأيت إسماعيل يردد علــى مســامع أبــي المرهقة . "إن شاء الله" سارسل له بخطاب وأطمئنه .. استــرح

حضرتك . ولا تشغل نفسك ، سعيد بخير ، وسيأتي قريبـــا فـــي اجازته المعتادة ..." تكدر ثابت أفندي قليلاً ، وحذر من ضـــرورة أن لا يخطر سعيد ، بحادث وقوعه على السلم الرخام ، حتـــى لا يسبب له هذا إزعاجاً .. وأنه يتمنى أن يحصل على الشفاء ، قبل حلول اجازة سعيد المعتادة .. بإذن الله ...."

كان إسماعيل يجلس عند رأسه ، وكانت زوجته فؤاده ، تعمل مع أمي في خدمة المنزل ، وإعداد الطعام .. وكان ثابت أفندي يغفو مرهقاً .. عندما شعر بي ، فتح عينيه ، فاقتربت منه ، أدار وجهه نحوي وسأل : صحيح يا رؤوف سنحارب ..؟ قلت : ربنا يسهل .. بقي ينظر نحوي ، لم أزد .. ثم أدار وجهه نحو سقف الغرفة ، وأغمض عينيه ، وهو يغمغم : ربنا ينصره . صمت بعض الوقت ، ثم قال – وهو لا يزال مغمض العينين : شايل همنا كلنا .."

تذكرت تعليقات الأستاذ حسن ذهني ، الذي يرى أن حمل الرجل لهمومنا كلنا ، من أسباب انتقاداته .. وكنت أرى أن ذلـــك مـــن أسباب عظمته .. وعندما لم يتحدث والدي ثانية ، قـــالت أمـــي : يظهر أنه راح في النوم ، الحبوب المسكنة ، بتنومه طول الوقت .. لكنه كان يئن أنات خفيفة .. تركناه لأناته ، وخرجنا من غرفته ، إلى كنبته في الصالة .. لا أحد منا كان لديه الرغبة في الكـــلام .. وفؤاده كانت تعد الطعام على السفرة ، وتتحرك بين المطبـــخ والصالة .. وأمي جففت دموعها ولاذت بالصمت ، وإســـماعيل جلس في المقعد المجاور لمقعد والدي الخالي .. وتعمدت أن ، ألا أجلس في مقعد سعيد .. كانت الدموع ضعضعت جفون أمـــي .. فانطفأ بريق عينيها ، وغرقت نظراتها الحانية في رفيـــف مـــن الأسى ..

في آخر يوم من مايو - حدثت مفاجأة لم تكن في الحسبان ..
حضر الملك حسين إلى القاهرة .. واستقبله عبد الناصر بالأحضان ، المفاجأة أذهلت المراقبين والمحللين ، وارتجت لها أجهزة الأنباء .. الغرب الذي لم يعتد على طبائع العرب ، ولا يجد لكثير من انفعالاتهم وتصرفاتهم ، تفسيراً علمياً .. أصابه الذهول .. فمنذ عدة أيام ، كان عبد الناصر يلقب الملك حسين باسم أمه ، ولا ينسبه لأبيه ، إذ كان الملك حسين يساند كل القوى المضادة للقاهرة ، ويستفيد من هذا الدور ، وكان ينعت عبد الناصر بالطاغية الذي فرق الصف العربي ، ومزقة إلى قوى ثورية وقوى رجعية !
حضر الملك إلى القاهرة ، واحتضنه عبد الناصر .. شقيقان قد يختلفان ، ثم يتصالحان ، فيذوب كل منهما في الآخر.. والقاهرة صحافة وإعلام تحتفي بالملك الذي حضر ليعلن أمام العالم كله ، مساندته لموقف عبد الناصر .. ويطلب في عجل .. توقيع اتفاقية دفاع مشترك ، بين القاهرة وعمان ..
هل كانت الثقة في النصر قد أوصلت الملك حسين ، إلى هذه القناعة ليبدل موقفه وموقعه بين يوم وليلة ..؟
إن حضوره المفاجئ لهو أبلغ دليل على أن عبد الناصر ، يقف في المكان الصحيح ، وأنه قاب قوسين أو أدنى من تحقيق (النصر) .. أم أن الملك جاء بدوافع أخرى ؟
لم يكن عبد الناصر من السذاجة ، حتى يفتح ذراعية لملك غير وطني ...
لكن عبد الناصر كان في أشد الحاجة في هذا الوقت العصيب

لهذا التأييد الذي يأتيه من المعسكر الآخر ، فيصيب باقي أعضاء المعسكر المحافظ .. بالإخفاق أمام شعوبهم علـــى الأقـــل .. وإذا كان الملك حسين قد اقتنع بالمعركة .. فإنني شخصياً اكتسبت ثقة ، أمام الأستاذ حسن ذهني .. وكنت أريد اللقاء به ، لأسأله رأيـــه حول هذه الزيارة وآثارها – الزيارة انتهت بعد سبع ســـاعات ..
وعاد الملك بعدها إلى عمان وبرفقته (أحمد الشقيري) .. وأخذ الملك هناك يتحدث بلسان عبد الناصر ، ويرفع شعاراته الوطنيـــة والقومية ، والتي كان يسخر منها منذ وقت قليل .. وتتحول عمان إلى حي من أحياء القاهرة .. تموج بالاحتفالات على إثر توقيـــع الاتفاقية .. والشقيري ، يعقب على زيارة الملك لمقر القيادة العليا للقوات المسلحة : الأخوة لا تنفصل ..

وعبد الناصر يعلن : إن العرب حينما يواجهون قضية المصير ، يتناسون كل ما بينهما من خلافات ثانوية .. وأن الخلافات بيـــن العربي ، والعربي .. لا تزيد عن كونها خلافـــات بيـــن شقيـــق وشقيق .. سريعاً ما تحل من تلقاء نفسها .. لقـــد اتفقنـــا سياســـياً وعسكرياً ، واتفقنا على كل شئ ، وفي هذا دون شك ، قوة للأمة العربية كلها .. وأن الاتفاقية ، وحدت في الحـــال بيـــن القـــوات الأردنية والمصرية العسكرية ، وبذلك نكون كلنا ، رجل واحـــد على خط النار ..!

وارتبكت الخطط الإسرائيلية .. وصمتت أمريكا وبريطانيا عـــن التعليق .. لا يريدان إعطاء وزن كبير لهذه الاتفاقية .. وأشارت الصحافة العالمية .. إلى الأسهم التي أضيفت لرصيد القاهرة ..!
والملك حسين يعرب عن قوميته ، ولا يعطي وزناً لذهول طهران ، وتونس ، والرياض .. (سنواجه التحدي والعدوان ، أمة واحدة

، وأملنا كبير في الوصول إلى أهدافنا ..)
الارتباك والفزع ، أخذا يسودان إسرائيل ، والدوائر الرسـمية ، وغير الرسمية ، وحاملة طائرات أمريكية ، تعبر القنـاة عقب توقيع الاتفاقية في طريقها إلى البحر الأحمر .. وشحنات أخـرى من الذخائر والعتاد العسـكري ، تتحـول مـن مخـازن حلـف الأطلنطي إلى إسرائيل .. ومن ألمانيا الغربيـة ، يتدفـق العتـاد الحربي ، خصماً من بند التعويضات ..
وثروت عكاشة ، وعبد المنعم الصـاوي ، يعقـدان اجتماعـات بالفنانين والكتاب ، وسناء جميل تهتف ضـد إسـرائيل ، أثنـاء الاجتماع ، والهتافات ينقلها التليفزيون ضد عدوان الغـرب إلـى الأمة العربية ، وكنعان وصفي يردد : (حنحارب .. حنحارب)
.. وعبد السلام محمد بوزنه الخفيف ، يقفز منفعلاً فوق الرؤوس ، فيحملونـه علـى الأعنـاق ، ويـهتف بحيـاة الرئيـس جمال عبد الناصر .. ويدوي التصفيق .. وتدمع العيون انفعـالاً وحماساً ..
ويتم تخريج دفعة من طلبة الكلية الحربية .. والفريق فوزي يأمر بسرعة إلحاق أفراد الدفعة ، بقوات الصدمة الأولى .. والدوائـر العربية تقول : أن عبد الناصر ، أول عربي يقف في وجه الدول الكبرى ، ويقول لها : لا ، دون خشيـة مـن (سـقوط) . وأن عبد الناصر – ليس (موظفاً) لدى الغرب ..
لذلك تسير خلفه الأمة العربية وهي موقنة أنه سيحقق لها أهدافها العليا . والقوة الرجعية تتغاضى عن مظاهر التأييد والمؤتمـرات وما يكتب في صحافتها تأييداً للقاهرة (.. لقد تركوا شعوبهم تعبر عن مكنون أمانيها في تلقائية ، متجنبين الصدام مع مد القاهـرة

الذي كان كاسحاً ..)
وصحف إسرائيل تطالب بسرعة الهجوم على سيناء قبل ترتيب أوضاع الكماشة الأردنية السورية ، ومن خلفهما العراق عمقاً إستراتيجياً في الشرق ، ومن الغرب مصر بإمكانياتها الضخمة ..
وفتحي غانم يبدأ كتابه مقالته الأولى تحت عنوان منشور المعركة .. ودوائر الغرب تعلن أن زوارق الطوربيد المصرية وغواصتان عربيتان ، كانوا يحيطون بحاملة الطائرات الأمريكية .. مما اقلق قادة الحاملة ، وطير من عيونهم النوم ..
والمواطن الليبي (صالح مسعود) يفتتح مساهمات الشعب الليبي ويرسل بعشرة آلاف دولار من ماله الخاص ، دعماً للمجهود الحربي .. فإذا بالمساهمات تتزاحم ، ويتحرج موقف الملك السنوسي ، بالإضافة إلى مئات من الليبيين عسكريين ومدنيين يطالبون بالتطوع للانضمام في صفوف جيش مصر ..
وإسرائيل تواصل طلب العتاد الحربي .. فتطلب من (بون) بألمانيا الغربية ، عشرين ألف كمامة ضد الغازات السامة .. وفنادق إسرائيل خالية من الخدمات ، وتعاني نقصاً شديداً في الأيدي العاملة ، بعد إعلان التعبئة العامة .. والصحف في إسرائيل خفضت عدد صفحاتها إلى أربع صفحات ، اعتبارا من الثاني من يونيه ..
وفي ذلك اليوم تخرج الصحف المصرية بتصور كامل لمراحل العدوان المرتقب ، وتتصور أنها ثلاثة مراحل للمؤامرة الأنجلوأمريكية .. وهكذا يكون السيناريو ..
أولا : انتزاع إعلان دولي بحرية الملاحة في خليج العقبة لصالح إسرائيل ..

ثانيا : ضغط سياسي وحصار اقتصادي شامل ضد مصر ومـــن يحالفها ..
ثالثا : استخدام القوة في إجبار مصر علـــى فتـــح المضـــايق ..
وفرنسا ترفض الاشتراك في هذا السيناريو .. واليابان لم تحـــدد موقفها ضد القاهرة ، برغم الضغوط الأمريكيـــة .. وبريطانيـــا تتولى جمع تأييد الدول البحرية الأخرى . وتتمهل عنـــد توقيـــع (اتفاق عبد الناصر- الحسين) ، لتعيـــد النظـــر فـــي خططـــها العسكرية ..
ومنشور المعركة يكتبه في الجمهورية (خالد محمد خـــالد : يـــا لروعه هذا الذي يحدث اليوم في بلادي يا رجـــال .. مـــا هـــذا المهرجان الذي تحييه جماهيرنا الموعودة) ..
وحاملة طائرات بريطانية تغادر إنجلترا في مهمة سريه ، وتدخل البحر المتوسط و تترصدها الغواصات العربية والزوارق ..
ووصول شحنات من القمح إلى ميناء الإسكندرية ترسلها الصيـــن .. والكحلاوى ورشدي وشهر زاد ، في الحان جدية عن المعركة .. وفي رسالة من كمبالا ، أصابه حماده إمام ، أثنـــاء التدريـــب الذي سبق المباراة هناك .. وأحمد رفعت يصـــاب بـــالأنفلونزا ، واللاعب الأوغندي الذي تدرب مع الزمالك يلعب ضد الفريـــق الوطني .. والمباراة ستذاع على الهواء يوم الأحد الموافق الرابع من يونيه ١٩٦٧ ..

* * *

السبت الموافق ٣ يونيه .. ساعاته كانت مشحونة باحتمالات تفجر الموقف على نطاق واسع .. ويلسون رئيس وزراء بريطانيا يعلن : الوقت بدأ ينفد ،ولم يتبق أمامنا إلا يوم أو يومـــان لمواجهـــه

الموقف المتوتر في العقبة .. !
ويطير ويلسون للقاء جونسون في أمريكا للتشاور ووضع النقاط على حروف اتفاقهما التآمري .
وإسرائيل تشكل وزارة الحرب بعد تعيين موشي ديان الذي أعلن في هدوء مريب ، بأن المعركة يمكن أن تبدأ في أية لحظة في الساعات القادمة .. وفي لقاء يعقده الرئيس الأمريكي بحديقة البيت الأبيض ، يعلن أنه أتفق مع رئيس وزراء بريطانيا العظمى على دعوة الدول البحرية للاشتراك في تأكيد حق جميع السفن بما فيها إسرائيل في المرور بخليج العقبة ..!!
وبومدين الرئيس الجزائري ، يجتمع بزكريا محيي الدين في العاصمة الجزائرية .. ورسالة مفتوحة رقم واحد من الفريق أول مرتجي .. لقوات الجبهة (جاء الوقت لاستكمال معاركنا واستعادة حقوقنا) ورئيس وزراء كندا (بيرسون) يعلن موقفه ، مؤيداً لإسرائيل ويقول (إن خليج العقبة أصبح دولياً منذ عام ١٩٥٧ ، وأن هذا الوضع لم يتغير) .. ومصر تقوم بتفتيش سفينة يونانية في بور سعيد ، كانت متجهة إلى خليج العقبة .. وايفون ماضي ، مصممة الأزياء ، تختار مع السيدات الأنيقات الثوب المناسب للحركة ، في الصيف الساخن .. وعمال ليبيا يعلنون تضامنهم الكامل مع عمال العالم العربي ، في مقاطعة تفريغ وشحن ، سفن الأعداء . إذا ما تم العدوان .. والكمامات الألمانية وصلت إسرائيل فور طلبها ، على متن الطائرات ...

.. .. ..

وسافرت إلى القاهرة ، وعدت في المساء .. لم أرغب في العودة إلى منزلي .. توجهت إلى بيت صديقي محمد خضير .. كان

يتهيأ للنوم .

طلبت منه أن يرتدي ملابسه ويرافقني ، فأطاع .. تركته يتحدث عن الزيارة التي قام بها لخطيبته في محرم بيه .. وعندما لم أعلق ، استفاض في التفاصيل ، حتى أنه وصف القبلة التي خطفها منها ، وهو يغادر الدار .. كنا قد وصلنا إلى شاطئ البحر. أمسكت حديد الإفريز ، وجدته مرطباً .. وشعرت برعدة من أثر البرد .. اختلجت ، وأغلقت أزرار القميص .. كان رباط العنق في جيبي الداخلي .. أخرجته وعقدته ، وشعور اكتنفني بأن حبل المشنقة يلتف حول عنقي .. كنت أرغب في شرب زجاجة بيرة .. ولكني كنت أشعر بالجوع والخواء . ولا فرقة ساعة لقلبك ، ولا كل أفلام إسماعيل ياسين ، يمكن أن تشعرني بالبهجة.

طلبت من محمد خضير أن نعود .. وكنت أندهش في نفسي أن (صديقي الحميم) ثور -الله - في برسيمه .. لا يشعر بأن الدنيا صارت ككرة القدم .. بين أقدام عدد من المتنافسين الأقوياء .. كل منهم يركلها بقوة ليحقق هدفاً . والكرة تتخبط ، هنا وهناك في ملعب ، ليس له مرمى .. !

وبالقرب من منزل محمد خضير .. تركته وانصرفت .. صاح خلفي :

- على فكرة .. الليلة كان دمك تقيل قوي ..

غمغمت دون أن ألتفت نحوه ..

- يا بختك .. !

//*/*/*/*

ذهبت إلى صباح الرابع من يونيه وأنا أعاني قلقاً وتوتـــراً .. إذ أنني قد فتحت راداراتي على أماكن مختلفة ، وأمضيت الساعات الأولى منه مع إذاعات العالم الذي نهاره – ليلنا .. !

ومع ذلك ، أمسكت بذلك الصباح – وشهيتي مفتوحة على طبـــق فول بالزيت الحار ، وسلاطة طماطم وبصل ..

وسفينة قديمة ، ترفع علماً غير إسرائيلي ، تستعد لتنفيذ قــرارات أمريكا وبريطانيا ، في اقتحام خليج العقبة بالقوة .. تســاند هــذه السفينة التي ستبحر في اتجاه المضايق ، قوات عسكرية وبحرية إسرائيلية وأنجلو أمريكية ، بغرض جر شكل مصر ، وليخــرج الفتوة من مكمنه ، ليقابل العصابة .. !

والاتحاد السوفيتي يحذر من اللعب بالنار ، ويهاجم سياسة أمريكا في العقبة وفيتنام ، وزكريا محيي الدين ، يطير من الجزائر إلى الكويت . ويوثانت ، يقول بأن مهمة قوة الطــوارئ ، اختياريــة وليست إجبارية .. وليبيا ، تعلــن المطالبــة بتصفيــة القــاعدة الأمريكية (هويليس) إذا استخدمت كمنطلق للعدوان على أرض الشقيقة مصر .. والملك إدريس ، يحاول إرسال وحدات متطوعة من الجيش الليبي ، للوقوف بجانب مصــر ، وبورقيبــة يطلــب مساعدات أمريكية لتونس ، إزاء المد القوي النــاصري ، الــذي يقف هو مضاداً له .. والرسالة الثانية من الفريق مرتجي (أيــها المقاتلون البواسل ، تذكروا جيداً ، كل ما تلقيتموه مـــن النظــام العسكري ، وأساليب الحرب الحديثة ..)

ومظاهرات في موسكو ، لتأييد الحقوق العربية ، وإدانة العــدوان مسبقاً .. وعلى صبري يناقش خطة الدفاع المدني ، ويعلن أهمية

أن تكون هناك وحدة مشتركة في كل مربع سكني ، مسئولة عـن تنفيذ التعليمات .. وخمسة آلاف يمني يطلبون السفر إلى الجبهة ، ومراكز المقاومة الشعبية تفتح أبوابها .. واستمارات التطـوع نفدت بعد ساعات من بدء توزيعها ..

وشكري محمد عياد ، يكتب حول الأدب القصصي ، والثورة في العالم العربي .. وبدر الديب يقول : (نصنع التاريخ ويصنعـون المؤامرة ..) وسائق تاكسي أركب معه في آخر الليل ، عائداً من قلب المدينة ، إلى (سان استفانو) يسألني في ضيق :

- اسمع يا أستاذ .. مابنضربش ليه ؟ مستنيين أيه ؟ عزومة ؟

* * *

صباح يوم الخامس من يونيه ١٩٦٧ ..

سينما أمير ، تعرض فيلم (زوربا اليوناني) ، وسينما مترو تعرض فيلم (القلب المدلل) ، وسينما أوديون تعـرض فيلـم (هرقل ضد الجبناء) ، وسينما الهمبرة تعرض فيلـم (معركـة جاسوس) ، وسينما ريو تعرض فيلـم (العرائـس) ، وسينما ستراند تعرض فيلم (المنجول وعشيقته) بطولة جـاك بلانـس وأنيتا اكبرج .

والمسرح الحديث يقدم مسرحية (الكلمة الثالثة) ، والبالون يقدم الفرقة الاستعراضية الغنائية .. وصفية حلمي تقدم برنامجاً غنائياً راقصاً ، يشترك فيه (سيد الملاح ، وأحمد سامي ، وسهير فهمي ، وشمس وضحى ، وثلاثي أضواء القاهرة) . وصحاري سيتي ، تقدم الراقصة اللولبية ، زيزي مصطفى ، فـي فـاصل مـن الرقص الشرقي المثير .

وجاءت الأنباء ، بفوز المنتخب الوطني ، على منتخب أوغندا ،

بهدف سجله محمود بكر ، بعد تسعة عشر دقيقة من بداية المباراة .. وألغى الحكم هدفاً لأبو جريشة ، للتسلل ..!

والنادي الإسماعيلي ، يتهيأ لتمثيل مصر في بطولة كأس إفريقيا ، لأبطال الدوري لأول مرة .. بعد أن انتزع البطولة من النادي الأهلي ..

و برتراند راسل ، يتكلم أثناء محاكمة جونسون ، في استكهولم ، ويقول في عريضة الاتهام : ٣٣٠٠ قاعدة عسكرية في العالم لأمريكا ، ٦٠ % من موارد العالم لسكان أمريكا ، الذين لا يتجاوز عددهم ٦ % من سكان العالم . وبالرغم من ذلك فإن معظم سكان أمريكا ، يعيشون في ضائقة مالية ، حيث يهيمن هناك على الاقتصاد ، حفنة من الرأسماليين العتاة ، يستولون على معظم الثروات العالمية الهائلة . أمريكا تريد إخضاع الشعوب والموارد في العالم ، للرأسمالي الأمريكي فقط ، ولن تسمح بقيام رأسماليين بجانبها ، كما أنها ستحارب الاشتراكيين ، بأموال وعتاد حلفائها .. وأن أمريكا تعترف في صفاقة بأنها تضرب فيتنام بالقنابل ، لتعيدها إلى العصر الحجري .. هكذا ..!

ويقول أحد الجنرالات الأمريكيين ، المسئولون عن قصف فيتنام بالطائرات .. "إننا نضربهم بضراوة ولكنهم لا يزالون يقاتلون .. فماذا نفعل ..؟! "

" ميرامار ، مرحلة جديدة في أدب نجيب محفوظ .. لكي يواصل بها رسالته الأدبية المتجددة أبداً .. مع تجريد الحياة من حولنا .. ولست أزعم ، أن خصائص هذه المرحلة الجديدة ، قد ولدت مكتملة ، ولكني أشعر بأننا في مهب رياح فنية جديدة في أدب محفوظ " أرجأت قراءة مقال الناقد محمود أمين العالم حتى يصفو

ذهني .. فقد كنت واقعاً تحت تأثير موضوع آخر أثارني .
" كان قد حدث بين مالك عمارة ، يسكن في إحدى شققها الفنان جمال السجيني ، الذي كان يهدده صاحب العمارة بالطرد من مسكنه هو ، وزوجته ، ووالده ، وشقيقه العليل .. إذ أن صاحب العمارة قام برفع دعوى قضائية ضد الفنان ، بحجة أنه أحال المسكن إلى أستوديو ، يضع فيه لوحاته ، وتماثيله ، ومطروقاته ، مخالفاً شروط عقد الإيجار .. وتمكن محامي المالك من الحصول على حكم بطرد السجيني من مسكنه .. والسجيني ، أستاذ الفنون الجميلة ، الذي خلد كفاح الشعب المصري في لوحاته ، من النحاس المطروق ، والتماثيل التي تغزو الدنيا ، يبكي بدموع صامته .. (فوميل لبيب) الكاتب الصحفي .. يذهب إليه ويزوره ، مع وفد سوفيتي ، من الفنانين .. كان ضمن برنامج زيارتهم ، زيارة مرسمه .. قال رئيس الوفد السوفيتي : أن طرد هذا الفنان من مسكنه ، قضية حضارية .. وأن المحامي الذي أثبت أن لوحات الفنان وتماثيله ، قد شوهت المبنى ، وأزعجت السكان .. كان مختلاً وسفسطائياً ..!
فوميل لبيب ، أثار هذا الموضوع ، وأخذ يناشد (سعد زايد) ، محافظ القاهرة - الذي كان يطارد المُلاك ، الذين يبالغون في (خلو الرجل) - بأن يحل لهذا الفنان مشكلته ، لينام قرير العين في مسكنه ، ويبدع في أمان ..! "
" .. وعبد الناصر ، يرفض بيان الدول البحرية . المتحيز ..! "

* * *

في ذلك الصباح . وكان ثابت أفندي ، قد نقل إلى المستشفى ، وأجريت له الفحوص والإشاعات ، تبين أنه سيعيش لفترة طويلة

مع الآلام .. وأنه لن يستطيع السير الطبيعي في وقت قريب .. كما كان يمشي من قبل .. وعليه أن يتحامل ويتمسك بالصبر .. وعليه أن يقوم بالتمرينات البدنية المتواصلة ، حتى لا يصاب بالعجز التام ..

أخفينا عن والدي هذه الأخبار المؤسفة ، وأبلغناه بأن الطبيب طمئننا .. وأنه إن شاء الله ، سيعود إلى حالته السابقة خلال الأسابيع القليلة القادمة .

وعندما سألنا بعيون متوسلة : حقاً .. هل سأمشي مرة أخرى ؟

قلنا جميعاً في نفس واحد تقريباً : نعم .. نعم .. ربنا كبير وقادر على كل شئ ..

ولما أخذ ينادى على (سعيد) من بين آلامه المبرحة .. قلنا له أن سعيد كضابط في الجيش ، لا يملك إرادته الخاصة ..

وطلب والدي أن يكون الراديو بجانبه ليسمع منه الأخبار .. كان يستمع إلى التعليق على الصحف الأجنبية ..

قال المذيع (من صحيفة الجارديان الإنجليزية : الحكومات الإنجليزية تعلقت طويلا بأمل العثور على رجل يمكن أن يضعوه مكان (ناصر) . وقد تقدم لهذه المهمة مرشحون كثيرون .. من العالم العربي .. يجب على حكومتنا الموقرة ، أن تعترف بأننا أصبحنا أكثر تعقلاً عن ذي قبل .. ومن الواجب علينا أن نسجل ترحيبنا بالأصدقاء في العالم العربي .. ولكننا نسجل أيضاً أسفنا لأن (جمال عبد الناصر) لا يمكن أن يجئ إلينا في هذه الأوقات العصيبة .. ! "

رفت ابتسامة على شفتي والدي ، وهو يسمع اسم عبد الناصر .. حاول أن يعتدل في نومته ، شعر بآلام شديدة ، فكف عن الحركة

واستحال رفيف الابتسامة إلى أسى ، وأخذ يتأوه في صمت ..
وأثناء إذاعة موسيقي برنامج ربات البيوت .. الذي تغرم به أمي
قال والدي : اقفلي الراديو يا رئيفه .. أو خذيه عندك في الصالة
أريد أن أنام قليلاً ..
أمي حملت الراديو إلى الصالة ، ووضعته على الرف المخصص له ، وعندما أوصلت سلك الراديو بالكهرباء ، وأدارت مفتاح التشغيل .. كانت المعركة قد بدأت من جانب إسرائيل . وكانت الطائرات الإسرائيلية ، بكثافة وموجات متلاحقة ، تضرب المطارات والمنشئات والاستحكامات بضراوة . وتدمر العديد من مخازن العتاد والتموين ، وقد تمت الشوشرة على الرادارات ، وقيدت المدفعية في بعض المواقع ، لوجود طائرات للمسئولين العسكريين المصريين في الجو .. وفي الدقائق التالية .. كانت فرق الجيش المصري - في ذلك الصباح الحزين - والتي دخلت سيناء في عجل ، تفقد غطائها الجوي .. وبدأ دفع مصر إلى الخلف .. إلى مسافة لم تكن متوقعة مطلقاً ، مع تغيير مسار كافة المواصلات . وطمس كافة العلامات المضيئة ..
كنت أريد أن أتحدث مع أي إنسان أثق فيه .. وكنت أشعر بالعجز عن الحركة ، وأحس بأنني مشلول مثل أبي .. لا قدرة لي على مغادرة غرف الشقة الخواجاتي ، وللحظة ، تخيلت أنها المصيدة ، وأنا الفأر . الذي أغلقت عليه المنافذ ، فأخذ يتخبط في أركانها ..
طلبت محمد خضير ، أبلغتني خالته بأنه في العمل ، ولم يحضر بعد ..
طلبت الأستاذ حسن ذهني في القاهرة .. فلم أعثر عليه .. وجدت نفسي ، أطلب (نوال فتحي) ! !

أخيراً ردت على اتصالي .. كانت المفاجأة التي دفعتها في أذني ببرود قاتل " أن المخرج الذي جاء من أمريكا ، قد اعتدى عليها بالفعل .. وهى التي جارته في الشرب ، ولم تكن تتصور أنه يرتب ذلك لاجتياحها .. وإنها في هذه الحالة . لا تجد أمامها إلا طريق وحيد .. هو الموت .. "

صرخت من قلبي : لا يا نوال .. انتظريني سآتي إليك ، وأبحث معك عن مخرج لهذه الكارثة .. وجهي اللوم إليَّ . أنا الملوم ، لأني لم أحافظ عليك بالقدر الكافي .. أقسم لك أني لم أبعك .. أقسم أنك جزء من شرفي .. أنا خدعت يا نوال مثلك .. كيف أجعلك تصدقينني .. ؟ !

كنت أفيض بالقهر والحزن ، فأجهشت بالبكاء .. بكاء حقيقي حمل إليها حرارة صدقي .. لعلها آمنت أخيراً ، أنني مثلها ، ضحية التباس وسوء تقدير .

لم أكن قد تبينت حجم الهزيمة في المعركة .. إذ كنت أنتوي السفر إليها ، والاقتران بها . ولم أكن أعلم بأننا فقدنا أخي سعيد في الضربة الأولى .. مع المئات ..

أخفيت مع أخي إسماعيل وأمي ، خبر الهزيمة ، وفقد الملازم أول سعيد ثابت . عن والدي .. حتى جاء شهر أكتوبر .. وتم التحقق من استشهاده .. وعلم والدي بالخبر بطريقة رسمية .. عندما جاء ثلاثة من التنظيم .. يقدمون له واجب العزاء .

لم يجهش أبي بالبكاء ، كما توقعنا .. أصيب بجمود الملامح ، وبقي حزيناً واجماً لثلاثة شهور .. ثم رحل في هدوء ...

كنت أسير خلف جثمانه ، وفي ذهني تتردد أبيات من قصيدة للشاعر أحمد عبد المعطي حجازي .. عنوانها : إلى أخوي أحمد

وعبد الرحمن ، كتبت في أعقاب الانسحاب ، وكانت أيضاً إلـــى أخي الشهيد .. (سعيد) .. الضابط الشاب ، الذي كــان يمتلــئ بالحيوية والشباب ، وأحرق بقنابل النابلم ..

" يا هواي عليـــك يــا محمــد .. "

إن كنت سليماً حتى الآن . . فاضــــرب .

اضرب يا ذا القلب النشوان .. اضـــــرب .

والوجه المتعب .

انفض عن قلبك دهشته الأولى ..

وبراءته المستهولة .

الإنسان الفولاذ .. انفضـــه

وخض النيران ..

يا هواي عليك يا محمــــد .. يا هواي علـــيك .. "

.. ..

وانتهــــــــت مرحلـــــــــة ،،،

سيدي بشر - ١٩٩٦

المؤلف :

عبد الفتاح أحمد مرسي

حاصل على ليسانس آداب من جامعة الإسكندرية ودبلوم عام من كلية التربية

عضو عامل باتحاد كتاب مصر

عضو عامل بهيئة الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بالإسكندرية

مؤسس بكتاب فاروس للآداب والفنون

الإسكندرية - سيدي بشر - ت : ٥٤٨٨١٥٢ - ٢٠٣

كتب صدرت للمؤلف :

* على حافة النهار (رواية) - الثقافة الجديدة - ١٩٩٣
* الدحـــديـــرة (رواية) ١٩٩٥
* المحسوس والملموس (رواية)- المجلس الأعلى للثقافة - ١٩٩٦

كتب تحت الطبع

* زعربانه (رواية) - المجلس الأعلى للثقافة .
* أحزان الصباح الجميل (رواية) - كتاب رافودة .
* شهوة الموقف المتحرك (قصص) - كتاب فاروس .